

al-Arsūzi, Zaki. T
"

دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بدمشق

رسالة البعث العربي - ١

/al-'Abqariyah al-'arabiyyah./

العقيدة العربية
في لسانها
5

N.Y.U. LIBRARIES

بقلم

زكي الارسوزي

مطبعة الحياة - دمشق
شارع خالد بن الوليد

B

Near East

PJ

6075

A7

1962

c. 2

مقروم الترجمة والطبع والنشر والاقباس
محفوظة

لدار الیقظة العربیة للنایف والترجمة والنشر
دمشق - سوریه

INT. U. LIBRARIES

تقديم

نحاول بهذا التمهيد أن نكشف للقاريء عن أصالة الموضوع ، وأن نبين له نواحيه الجديدة ذات الطابع البدئى ، وأن ندله على الأسباب التي ساقطنا اليه ، وعلى الظروف التي اكتنفت كتابته لما لهذه الظروف واثنتك الأسباب من تأثير على انارة البحث .

هذه الرسالة تجيب بالحل على مشكلة اللغة إجابة قاطعة . وهي بذلك ، تكون قد جلت احدى المشاكل المتعلقة بديابة الأشياء المستعصي حلها حتى الآن . كان أمر نشوء اللغة ونظامها معضلة تطرح على الصورة التالية :

أهي موضوعة من قبل العقل وفق عرف منفق عليه ؟ أم هي موحاة وحيأ من السماء ؟ ولكن ربط المسائل بالغيب ليس مجل لها ، بل ان في ذلك لحدأ من سلطان العقل في تقصي الاسباب . واما اعتبار اللغة مجموعة من الرموز موضوعة من قبل العقل فيذهبى بملقعة مفرغة لا يخرج لها ، اذ ان وضع اللغة على ما فيها من تنسيق ونظام يتطلب عقلاً بمنتهى الكمال . وكيف يسمو العقل إلى هذا الحد اذا لم يستند في انتشاره الى الكلام ؟ هذا ، وبما كان يزيد في الصعوبة هو ان جذور الكلمات في اللغات ، المتبقظة شعوبها على الحضارة ، قد ضاعت في الأزمنة الغابرة ، بحيث أصبح العلماء ، المختصون بدراسة هذه اللغات ، يفتقرون الى مثال حي يتخذونه سندا لوجهة النظر المقررة . وهالك اللغة الفرنسية على سبيل المثال . فقد حصلت الكلمات الفرنسية من تطور أصاب الكلمات اللاتينية . وهذه كانت قد حصلت بدورها من تطور أصاب الكلمات الهندية الاوربية ، وأما جذور الكلمات الهندية الاوربية فقد ضاعت في ظلمات التاريخ عند بدء تكوين الانسانية .

وبدنا كان العلماء يفقدون الأمل في إيجاد الحل لمشكلة اللغة التي بها يتميز
الانسان عن الأحياء الأخرى ، كانت الصدفة السعيدة تتيح لنا معرفة النهج الذي
سلكته الحياة في انشاء أداة بيانها . والمثال على هذا النهج هو اللسان العربي . ان
الكلمات العربية لم تزل ذات جذور في الاصوات الطبيعية ، وان اللسان العربي لم
يزل محتفظاً بنمط نموه نحو أداة بيانية متكاملة ، منذ ظهور الانسان حتى الآن .
ونحن نعني بظهور الانسان ، مرحلة الانتقال من عبارة الهيجان الطبيعية الى الكلمات
التي تعبر عن معان يبحث بها الوجدان ، كالانتقال من « آخ » والتي هي عبارة
التوجع الى « الأخ والاخوة والاخاء ... الخ » .. او كالانتقال من « إن » الى
« أنا » والانانية .. الخ ...

وإليك بعضاً من الامثلة على نشوء الكلمات من الاصوات الطبيعية ، وعلى
نمط نمو اللسان نحو أداة بيانية متكاملة : لما طرقت صوت خرير الماء اذن العربي
تشخص في خياله الماء في مجراه ، وذلك لما بين الصوت والرؤية هنا من علاقة
اقتران . وكلما كان يتلون تأثير الماء في مجراه كان الذهن يعبر عن الحالة المستجدة
بالحافه حرفاً الى صوت « خر » ، مع مراعاته بيان الحرف الملحق . وهكذا
حصل من إلحاق حرف « ب » بـ « خر » فعل « خرب » ، ومن إلحاق حرف
« ج » به فعل « خرج » ، ومن إلحاق حرف « م » به فعل « خرم » .. الخ ..
وهكذا وضعت الكلمات المعبرة من تلون تأثير الماء في مجراه : خرباً أو خروجاً
أو خراماً ... الخ ...

وهالك نهجاً آخر سلكه الذهن في انشاء الكلمات من الاصوات الطبيعية :
فمن صوت « تر » الذي هو صوت سقوط الماء متقطعاً استحدث فعل « در » ،
ومن « در » استحدث فعل « ذر » . هذا النهج غير النهج السابق ، لقد انتقل
الذهن هنا من حرف « ت » الى سقيفه بالخرج « د » ، ومن حرف « د » الى
سقيفه بالخرج « ذ » . وهكذا كان التلون في الخيال المرئي يدعو الى احداث
تلون في الصوت . وبدرو ذلك التلون في تر الماء ، ودر الحليب ، وذرية
الانسان .. الخ .

وكان للأصوات التي تحصل في الفم الحظ الأوفر في انشاء الكلمات ، فمن صوت « بت » الذي يحصل من تقاطع اللسان بالنطق استحدثت الذهن « بتو » و « بتل » .. الخ .. ومن تحويل حرف « ت » في بت الى سُقيقه بالخرج « ط » استحدثت « بط » و « بطل » .. الخ .

وهاك نهجاً آخر في وضع الكلمات العربية . فمن صوت « ن » استحدثت « أنا » و « أنت » ، « أنس » ، و « انسان » .. الخ .. ومن إلحاق حرف « ب » بـ « ن » استحدثت فعل « نب » المعبر عن معنى الظهور من الصميم الداخلي الى الخارج ، بحسب بيان ونظام حرفي « ن » و « ب » ، ومن إلحاق حرف آخر بـ « ن » استحدثت الافعال التالية : نبت ، ونبتك ، ونبتق ، ونبيع ، ونبيع ، ونبا .. الخ ..

ونحن نستخلص من ذلك ان الحياة قد سلكت النهج التالي في انشاء أداة بيانها - اللغة . استفادت من خضوع الصوت للارادة وهو احد عبارات الهيجان الطبيعية ، واستفادت أيضاً من انتقال الصوت عبر المكان ، بحيث اصبح اداة للتفاهم والتعاون بين الاخوان . واستعانت بحاسة البصر ، ذات اللون الدقيق ، مقيمة التعادل بين تلوينات هذه الحاسة وبين الصوت ، متخذة من الصورة وسيلة جلاء المعنى .

واما مبدأ العلاقة بين الصوت والمعنى ، فيظهر في الامثلة الآتية : فـ صوت « غ » يوحي معنى الغيبوبة . ونحن نجد هذا المعنى في الكلمات التي تبدأ بهذا الحرف ، غاب ، غاص ، غرب .. الخ .. وحركة الفتح يوحي حدوثها ، المرافق لركون اللسان فـ خروج الصوت ، معنى الركون . ونحن نجد هذا المعنى ايضاً وجدت الفتحه . نجد في حركة آخر حرف من الفعل الماضي المنقطع عن الفعلية ، ونجد في المفعول المزم بالركون لاحتماله فعل الفاعل .. الخ ، وذلك ما يوحي بأن جذور اللغة هي في الحياة ، في العلاقة المتبادلة بالتأثير بين وضع الجسد وبين المعنى الذي هو صده في الوجدان ، وفي الهيجان ، الذي فيه الصوت بادرة بين بوادر اخرى . وكما ان

وظيفة البوادر هي تجسيم الشعور بحيث يتنبه الكائن الحي الى سبب الهيجان لما له من اهمية بالنسبة لصير الحياة كذلك اللغة تبقى مهمتها نقل المعنى حياً الى الآخرين ، وان البيان الصوتي من الحدس بمثابة البيئة الطبيعية من كواامن الحياة في بذور النبات . ومثل البيان الصوتي في اللغة كمثل الوسامة في الوجه . ويشير الى هذه الحقيقة القول المأثور « ان من البيان لسحراً » . وهل من شيء اذنه من وجه طامس المعالم عديم الوسامة ؟ . نحن نسوق هذه الكلمة للذين قصر ادراكهم عن مغزى الاثراب في اللسان العربي . حتى ان وثوق الصلة بين المعرفة والعمل عند العرب يرجع الى ميزة الاجزاء التي تملكها الكلمة العربية .

وهل يقف الاجزاء في الكلمة العربية عند حدود البيان الصوتي ؟ افلا يتناول ايضاً الرؤية بحيث يفيد المعنى من وضوح وتلون هذه الحاسة ؟ ان مثل الكلمة العربية في ذلك كمثل الشعر في استخدام الصور المجازية . فعندما ينشئ النايق كلمة « فرس » مثلاً ، من « فر » بالحاق صوت « س » المعبر عن الحركة بـ « فر » صوت الطائر ، ثم يقره الجمهور على هذا الانشاء ، تبقى الكلمة الموضوعه محتفظة بخيال النشأة الذي هو سرعة الجري . وكلمة « فرس » تختلف في الاستعمال عن كلمتي : « حصان » و « جواد » ، من بين الكلمات الموضوعه في هذا الاتجاه . اذ ان لكل منها معنى يتفق مع خيال نشأته ، فالحصان يتضمن معنى الحصن اي بقاء الفارس الذي يمتطيه كأنه في حصن حصين ، والجواد يوحي بان المطية تجود بدنها في سبيل فارسها .

وعن تصالب الصوت والخيال المرئي في الكلمة العربية ينتج امران : اولهما فقدان المترادفات سبب الالتباس في اللغة . واذا ظهرت بعض الكلمات مترادفات ككلمتي « أسد » ، و « غضنفر » مثلاً ، فذلك لأن الفارق بينها في الاستعمال قد طمس علينا نحن الذين لم نعد نرى السبع الا في القفص . ولكن عندما كان اجدادنا يعدشون بين السباع كانوا يضعون لكل موقف من مواقف السبع اسماً مميزاً . وهكذا انشئت كلمة « أسد » من سد حماه ، ومن هنا « السيد » الذي يحمي

عشيرته . ومن هنا ايضاً « الاسود » وهو الذي يتخلف عن حماية الحقيقة .
وهكذا نحت كلمة « غضنفر » من غضن* ونفر تعبيراً عن موقف السبع عندما
يهاجم ، فتتفرغ غضونه .

والامر الثاني هو الاختلاف في التطور بين الكلمة العربية وغيرها في اللغات
الآخري . لقد جرت العادة بأن تعرف الكلمة الفرنسية مثلاً بالرمز . وهذا يعني
ان العلاقة بين الصوت والمعنى في الكلمة المذكورة تقوم على العرف لاعلى رابطة
طبيعية بينهما . يضاف الى ذلك ان الكلمة الفرنسية تخضع في تطورها عبر الاجيال
إبدأ التقليد اللفظي ، فتتأثر من اختلاف الشقة بين المقلد والمثال ، بحيث ينتهي الامر
على مدى الاجيال الى تبدل معالمها . وهكذا اصبح الفرنسيون اليوم لا يفقهون
شيئاً من أدبهم المعاصر لأدبنا في العهد العباسي ، اللهم إلا الذين اقتصوا منهم
بدراسة اللغات الرومانية . ولهذا السبب جرت تسمية اللغات الحديثة باللغات
التاريخية بمعنى خضوع تطورها للتاريخ .

غير ان الكلمة العربية صورة . وهي ككل صورة تلازم التقييد بمقتضيات
طبيعتها الخاصة . انها تستمد سلامتها من صيغة مثل Standard ليس لتداولها بين
الناس أبة حلة شرعية يضيفها عليها . مثل الكلمة العربية كمثل الحياة التي هي امتداد
لها ، فكما ان انتشار المرض وانتقاله عبر الاجيال لا يغيران من طبيعته كعالة
مَيَل ، فكذلك الكلمة الموضوعه وضعا ساذاً في اللغة العربية لا يقوى الزمان على
توكيد سلامتها . حتى لقد ترجع صوة العربي الى المثل الاعلى ، الى نزوع كلماته الى
تخطي الواقع المتعارف عليه نحو مثل تستكمل به شروط سلامتها . فهل من تفسير
لظهور مئة واربعة وعشرين الفاً من الانبياء بجزيرة العرب غير تفسير الاتفاق في
الصورة نحو المثل الاعلى بين الكلمة العربية وبين صاحبها ؟ وذلك ما يجعل الاختلاف
في التطور بين لغتنا وبين لغات غيرنا من الاقوام . فبينما كانت الكلمة عند غيرنا
تتطور من جيل الى جيل حتى تصبح في نهاية الامر مختلفة المعالم عن نشأتها ، كانت
الكلمة العربية تبقى على ماهي عليه لا يوثر فيها الزمان . وكل ما كان يحدث هو

أن اجدادنا إذا ما انتقلوا من مرحلة تاريخية الى اخرى كانوا يسقطون من التداول الكلمات المعبرة عن الازواضع المهمة وينشئون في حدود نظام اللغة مايعني منها بالتعبير عن حاجات المرحلة التاريخية المعاصرة . واذا ما أقمنا المقارنة بين قصيدة من الادب الجاهلي كقصيدة عبد المطلب جد الرسول مثلا وبين قصيدة اخرى من الازدب الفرنسي في عهد سارلمان المتأخر خمسمائة سنة عن عبد المطلب وجدنا القصيدة الاولى لاختلف من حيث السهولة لافهام الاجيال منذ وضعت حتى الآن، ووجدنا القصيدة الثانية تعز على افهام الافرنسيين اليوم ، إلا الذين اختصوا منهم باللغة الرومانية .

كنا قد اشرنا الى ان الكلمة العربية تتألف من صورة صوتية ومن خيال مرثي ومن معنى هو قوام تألفها . ونحن نسوق هنا على سبيل المثال كلمة «فقه» . فالصورة الصوتية في هذه الكلمة هي صوت « فقه » الحاصل من غليان الماء مع الحاق صوت « هـ » بها ، والخيال المرثي هو خيال التفقح من الداخل ، الخيال الموجود في الكلمات ذات النشأة المشتركة : كفقاً (الدملة) ، وفقح (الكلب عينيه) ، وفقص (النقف) ، وفقع ، وفقر .. الخ . والمعنى هو الحقيقة التجلية من صميم النفس مستضيئة بنور ذاتها . وذلك مايجعل الكلمة العربية ذات معالم واضحة لاتقبل الالتباس بغيرها ، وذلك مايجعل لكل مفهوم صورة حسية هي منه بمثابة التعريف بالاشارة . فللذكاء مثلا صورة حية هي ذكاء - الشمس . ولعة الذكاء من النفس بمثابة الشمس من الاشياء في الطبيعة ، يهتدي الذهن على شفقها في حل المشاكل باقرب الطرق واسهلها ، متجنباً المحاولات الفاشلة وما يرافقها من تعب وخيبة . وكذا الكلمات : رأس ، وجه ، ثوب .. الخ ، فلكل منها صورتها الحسية : رئيس ، وجيه ، ثواب .. الخ ..

انه الى تكوين الكلمة العربية هذا يرجع الطابع البديء للرابطة الاستباقية في لساننا . فاذا كان المعنى يؤلف بين الصورة الصوتية والخيال المرثي في الكلمة فان الحدس المنطوي في المصدر هو ايضاً قوام الرابطة بين المفاهيم العقلية والدلوات

الحسية في اسرة الكلمة . واليك الكلمات التالية على سبيل المثال : نبا (صات خفيفاً ، والنبا (الحبر) ، والنبوءة (الاخبار عن الغيب) ، والنبي (الحبر عن المستقبل) . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، نبا الشيء : ارتفع والنبي : الطريق الواضح ، والنابيء (المكان المرتفع) .. الخ .

والعلاقة الاستقافية هذه نتائج هامة في مصير الثقافة ، منها : الكشف عن نحو الذهن بتجاوب وجهتيه : المحسوس والمعقول ، ككتبهه مثلاً للحرارة في الطبيعة ، ثم وضعه الكلمة المعبرة عن ذلك بتأثير شعور الغيرة الذي يظهر بمظهر الحرارة عند الاحرار ، ومنها ظهور الذهن تارة بمظهر تقننصه الصور ، وتارة بمظهر مصمم يتجلى فيه الحدس كتجلي الالهام في كلمات القصيدة او في انغام الانشودة . وهاك عن كل من الحالتين مثلاً : في اسرة الكلمات التي ترجع الى « أج » نجد اتجاهات متباينة كالأجيج (الصوت الحاصل من اختلاط الكلام) واجاج (ماء اجاح ماء مر مالح) ، وتأجج (التهب) ، واما السبب في هذا التباين بين كلمات من نفس الاسرة فهو تأثر الذهن في تطوره بقواعد التداعي كالأقتران و"تضاد والمشابهة . ان الصوت الذي استحدثت منه الكلمات المذكورة هو صوت ذكر الحمام عندما يحوم حول الانثى فينفش ريشه ، ويحسى . فمن الحالة الاولى انتقل الذهن بالمشابهة الى البحر المهتاج ومنها الى طعم المر المالح . ومن الحالة الثانية انتقل الى النار فانشأ كلمة تأجج .

واما الحدس كمصم فنكشف عنه بالمثل الآتي : كلمة « وجد » تتطوي على حدس في تلازم النزعة مع غرضها . وجد ضالته : ادركها بعد ان بحث عنها . وكلمة وجد تشير بمصدرها : الوجود والوجدان ، الى ان الوجود هو النزعة متبلورة في صورة ، وان الوجدان هو النزعة منكشفة لذاتها . معرفة . ومصدران آخران لوجد : الوجد والجد ، يشيران الى التوافق بين الغرض والنزعة . وهناك المصدر موجد (الغضب) يعبر عن حالة التنافر بين وجهتي الحقيقة : المعنى والعبارة ، النزعة وغرضها .

فبالصورة الحسية اذن يتضح الذهن ، وباستقافه هذه الصور المقتبسة عن الطبيعة يتوضح . واذا ما استجمت هذه التجليات الحسية والفهمات التي تجملها في وحدة ادراك انكشفت في الوجدان الحدس ، التي انبثقت منها منظومات معانيها ، عن بصائر في بنيان الكائنات .

ولدراسة اللسان العربي دراسة توليدية *génétique* نتائج لا تقل أهمية عن حل لغز اللغة : من ذلك انها تلقي ضوءاً على جذور الانسانية ، وعلى العلاقة بين الاقوام في مهد الحضارة . فمادامت الاصوات الطبيعية التي هي جذور الكلام محفوظة في اللسان العربي ، وما دام مبدأ الاستقاف هو قوام هذا اللسان ، فانه ان السهل علينا تعيين العلاقة . اللغوية بيننا وبين الآخرين . فاذا وجدنا كلمة « نبي » مثلاً مشتركة بين اللسان العربي واحدى اللغات السامية ، فان الكلمة عندنا ترجع الى امرة « نأ » . واسرة نأ ترجع الى ارومة « نب » ومنها الى صوت « ن » الطبيعي والمتضمن بحسب حدوثه معنى الصميم او معنى الصوت الحقي . ونحن بالاستناد الى هذا المنهج نستطيع ان نظهر مدى صدق الاسطورة القائلة بوحدة بني البشر ، اي مدى صدق اسطورة آدم . وذلك باقامة المقارنة بين قواعد اللسان العربي وكلامه من جهة ، وبين لغات الامم عند الامم الاخرى . فاذا ابانت الحضارة اصلاً مشتركاً لكلمات « رجل » في العربية ، « راجا » في الهندية و« ركس » في اللاتينية ، واذا كان هذا الاصل يرجع الى « رج » الارض رجاً ومنها الى صوت « ر » المعبر بحسب حدوثه في الضم عن الحركة ، اذا كان الامر كذلك ، ثبتت وحدة النشأة بين العربية وبين الهندية الاوروبية التي هي ام لغات العرق الابيض الاري ، واذا كانت المقارنة تشمل ايضاً لغات العرق الاصفر ولغات الشعوب الابتدائية ، تكون الاسطورة المتعلقة بوحدة بني البشر قد تحققت . والا ، فان الاختلاف في جذور الكلام وفي القواعد يدل على الاختلاف في المبدأ أي على استقلال الاقوام بالنشأة . وعندئذ يرجع الشبه بين الاقوام الى استبعاد الحياة لايجاد اللغة كوسيلة للبيان وحسب ، كما هي الحالة في التعبير عن الشعور بالهيجان .

ولما كانت الكلمة العربية تنم عن خيال مرثي ، فقد أصبحت ذات ايجاء .
وتبدو قوة الايجاء هذه في تكوين الاساطير . فاسطورة الآت (آل آت) مثلاً
تتضمن معنى المستقبل والحكمة . ونحن نجد هذه الاسطورة عند المصريين :
آتون ، ونجدها ايضاً على نفس اللفظ والمعنى عند اليونان : آتينا وكذلك :
آدونيس ، من أد - اعطى ، بمعنى الفيض والجمال . وكذلك عشروت من العشرة ، العش ..

ودراسة قواعد اللسان العربي هي ايضاً تكشف عن تكوين العقل البشري ،
وعن وجهة نظر الحياة في الكائنات . واليك بعض الامثلة . انشأ الذهن اسمي
المكان والزمان واجملها بصيغة واحدة ، الظرف . وهو بذلك قد سبق الفيلسوف
الالمانى « كانت » . وانشأ صيغتين للجمع . احدهما للناس والاخرى للأشياء . وجعل
الاولى على صورة يكشف بها عن حدسه في علاقة الفرد والجماعة ، علاقة نو
وازدهار . وهو بذلك يؤيد نفسه في استقائه كلمة انسان من الأنس .

وبعد أن أوجزنا القول عن اللسان العربي : نشوئه وطابعه البدئي ومزياه ،
نتناول بالحديث الاسباب التي دعتنا لدراسته . لما هاجرت من انطاكية الى سوريا ،
وكان ذلك عام ١٩٣٨ عند احتلالها من قبل الاتراك ، سألت نفسي عن الاسباب
التي كانت تحملي على التضحية في سبيل العروبة . هل كان ما يحملي على التضحية
صوت الواجب ؟ ام كان صوت الاجداد . الملخص عادة بمفهوم الامة ؟ ربما
كانت الدعوة مزيجاً من كليهما : من الواجب المنبعث من اعماق النفس ومن الوحي
الحاصل من مقتضيات الظرف ؟ ولكني كنت اعود الى المسألة من مستوى آخر .

كنت اتساءل : هل الامة محصلة للظروف التاريخية ؟ ام هي عبقرية تبتدع
مظاهرها ومؤسساتها كاللغة والفنون والعرف والأخلاق .. الخ وتوجهها في الوجة
التي ترفع بابنائها نحو غايه مثلى ؟ وبينما كنت متحيراً في امري متردداً بين دراسات
الفن والتشريع ، علي " اجد فيها قسماً يخرجني من الحيرة اذا بصدفة سعيدة تدلني
علي ممكن السر : اللغة . واما الفرصة السعيدة فهي انني عندما كنت اتصفح
القاموس رأيت الصلة بين الافعال المتسلسلة ذات طبيعة مزدوجة : صوت وخيال

مرئي ، كما بينت ذلك . وعندما رأيت الافعال تنتهي بصوت طبيعي كصوت خرير
الماء مثلاً وبجنيال مرئي هو الماء في مجراه ، هو السبب في حدوث الصوت ، اذ ركت
السر في نشأة اللغة . ودهشت لما بدا لي شمول المبدأ الكلمات العربية جميعها .

وأغرب ما في الامر هو الانسجام بالمعنى بين كلمات وضعت في امكنة متباعدة
وفي اوقات متفاوتة . حتى لقد بدت لي الكلمات والقواعد ، من حيث انها تعبر
عن وجهة نظر معينة ، على مثال كلمات القصيدة في تعبيرها عن الالهام مصدر النظام
فيها . واذا كانت القصيدة توحى بمبدعها الفنان ، فلهذا لا يوحى الانسجام بين ظواهر
اللغة بعبقرية امة مبدعة وموجهة ؟

• • •

المفصلة

لقد خيل لاجدادنا ان النجوم نوافذ يشرق منها المعنى (الاله) بنوره على الكائنات ، فاذا اتمنا نحن احقادهم ، هذه الصورة الشعرية بنسبية المكان لعالمنا ، عالم الشهود ، ادركنا فيها عندئذ رمز بنيان حياتنا ، فودية كانت ، أم اجتماعية .

كذلك خلايا البدن ، وان بدت منفصلة في المكان ، متخلفاً بعضها عن بعض في الزمان ، فهي باتجاه انبثاقها ، متصلة بوحدة ينبوعها .

وان ابناء الأمة ايضاً ، وان ظهوروا على مسرح الوجود متفوقين متفاوتين ، فانهم بمصدر انبثاقهم موحدون ، وحدة بها تنسجم اعمالهم في انشاء مؤسساتهم ، متلازمة ، متامة ، رغم التباعد في المكان ، والتفاوت في الزمان .

وان اسطورة آدم (خلق الله آدم من تراب فجعله على صورته وفتح فيه من روحه) ، هذه الاسطورة التي عبرت بها الامة العربية عن نظورتها في الوجود ، تكمل هذه الصورة الشعرية ، وتشير الى رسالة هذه الامة في التاريخ .

فآدم (من الاديم ، وقوته الادامة) هو من اديم الارض ، عنها يقتبس عناصر بدنه ، ومنها يستمد نسغ حياته ، وهو منها كالبرعم من شجورته . وليس البدن الا بدور النفس في الكون وجوداً .

ولئن اقتبست الحياة من القدر (الطبيعة) عناصر بنيتها ، فقد دلت بهذا

الاقتراب على نفوذها فيه ، وبدء سيطرتها عليه ، وهي قد حققت بالانسان صبوتها ، فخلقت من بدنه قدراً طوع ارادتها ، به تحور معناها ، وبهذا التحور أصبحت على صورة الاله ، مبدعها .

ان اللسان العربي قد اشار ، باتجاهات الحدس التي انطوت عليها كلماته ، الى حدود هذه الصورة ومعنى نموها .

فالكون (من كان ، مكان ، الكائن) هو اطارها . والدنيا ، (دنا ، يدنو ، دنيء ، دنيئة) هي حدود ميولها وفعاليتها ، وبفسحة مداها تتعين مرتبة صاحبها في الوجود ، سواء أكان نوعاً حيوانياً ، ام امة ، ام فرداً . واذا ما تقلصت دنيا صاحب هذه الصورة صار دنيئاً .

والعالم (من علم ، علا) هو اكتساب هذه الصورة (اي النفس) شعوراً بذاتها في تجلياتها ، واستجمام هذه التجليات على درجات متفاوتة بالشمول وبالعمق ، شمولاً تمس به نظام الكون الرياضي ، وعمقاً تتأحد فيه المعرفة (غايتها) بالبصيرة . ولئن شفت المعرفة باقترابها من الكون ، اطارها ، وضؤل العمل الملازم لها ، فهي باءثلاثها على هذا الحد الأدنى ، قاعدة ارتكازها ومأخذ رموزها ، نحو مصدر انبثاقها ، تجلى لها الوجود عندئذ بنياناً رحمانياً وعدلاً متسامياً .

الاتطوي كلمة (وجد) ايضاً على النزعة وغايتها ، مع الاشارة الى ان الاولى تنقدم على الثانية (التحري عن الشيء ثم ادراكه) . فكأن بالانفس تهتدي على نمط معكوس الى حقيقة اهتمام الانسان الى صورته بخيالها ، وليس عبثاً ان اشتق الذهن العربي كلمات (وجدان) ، (وجد) (تواجد) ، (وجود) موضحاً بها حدسه هذا .

ولئن ادركت هذه الصورة نموها (عمق الوجود) بالارتقاء الى مصدر انبثاقها ، فقد تحور معناها من القدر (العالم الخارجي وبدنها) فتمتعت حينئذ هذه النفس بهذا التحور بالخلود .

اذا كانت عناصر البدن مؤنفة من اديم الارض ، فان النفس ايضا جلوة
المعنى ، جلوة تنزع الى تحقيق المعنى فيها كاملا . كما لو ان شعاعا متخللا الغيوم
استجم فيه كافة خصائص الشمس ، مصدر انبثاقه ، فتحول بهذا الاستجم الى
الشمس ذاتها ، متفوقا على حجاب المكان .

كذلك تتجاوب تجليات النفس في وحدانية وجدانية ، فيحصل من هذا
الاستجم حالة تبدد بنورها الساطع فوارق التجليات التي انتهت اليها .

واذا كانت الحياة قد افتقرت بالابدان الى نفوس ، فهي قد سهلت لها بهذا
الافتراق نموها بتجاوبها تجاوبا رحمانيا ، وتفتحها عن بنيانها اعمق فأعمق ،
وذلك بالاضافة الى تعاونها في اخضاع القدر لمشيئتها .

وما الزواج الا رمز هذه الوحدة البدائي (primaire) فالانسان
(من انس) ، هو من الهية الاجتماعية كالبدن من الكون ، عنها يتلقى قوته ،
وبمدى تجاوبه الرحماني مع ابنائها وبنيانها ، الذي يرمز اليه مؤسساتها ، يزهو :
(ان من البيان لسحرا) .

ولئن كانت الحياة قد تفرقت بالبدن الى افراد متباعدين في المكان ، فقد
اوجبت عليهم التلازم والتعاون ، اتاما لحكمة هذا الافتراق ، تلازما بين
الاجداد والاحفاد ، وتعاوننا بين الاخوان .

كما انها عوضت على الانسان بخلود الامة ، لاستقلال الثقافة فيها عن المدنية ،
تعويضا عن تلازم المكان والزمان في وحدانية نمو مظاهر البدن ذات الصلة
بالقدر . وهي قد اوجدت الانسان ايضا تحقيقا لغايتها هذه ، فانتصرت على
الزمان (الكتابة والعنات Tradition) وعلى المكان (التجاوب الرحماني ،
وتأثير السكامة السحري بالبيان) ، وعدلت به مؤسساتها وخلصت تجارب احيائها .
لقد اختارت الحياة من بين تجلياتها الحسية العموت ، وهو طوع ارادتها ، في
انشاء لسانها ، بيانا عن بنيانها ، ورمزا لتفاهم بين ابنائها ، ووسيلة للكشف عن
ماهيتها ، بخلق ذاتها بذاتها ابدًا .

على ان العادة (التداعي) تقتنص الصورة الصوتية ويفوقها الميل المكبوت
فهي لذلك عرضة للانهميار. والتجاوب الرحمانى بين ابناء الامة، وان ساعد على
تحرير الكرامة بما هو دخیل على بنیانها، فان التحرير متفاوت بتفاوت الاصاله فيهم،
والذكاء اللازم للكشف عن هذه الاصاله، وتخيير الصورة التي هي اصدق للتعبير
عن المعنى من بين المبدعات المتقدمة، والا التنبست عليهم الصورة بالرمز، وانقصم
ماهو نزوي عما هو ارادي فحجبت النفس بهذا الانفصام عن قراراتها وتغلب
عليها التكلف وما يقتضيه من جهد، وانه على هذه النسبة تتميز الامة الاصيله
(البدائية) عن المهجينة المشتقة .

ففي الامة البدائية ذات الاصاله تنسجم اذن ارادة ابنائها الصادرين عنها
والحاملين مبولها مع النزوة (spontanéité) في انشاء المؤسسات العامه
(الانسان ، الاخلاق ، الديانة والفنون ..) كهتلى عليه ترقى النفوس نحو
غايها فتشف فيها العبارة سواء اكان في بنية الافراد ام في منحنيات هذه
المؤسسات التي تعكس هذه البنية متبلوره، وتتجاوب النفوس في هذا الجو
تجاوبا رحمانيا تقيض المشاعر وتغمر الكون نشوة وسرورا فتشده فيهم
اواصر الرحم .

يستقبل ابناء هذه الامة الحوادث متفائلين . وايس عبثا ان انجبت الامة
العربية اكثر من عشرات الالوف من الانبياء، ولئن كان شعار كل من ابنائها
أبدا البطولة ، فقد اختص كل منهم بالشاعرية اللائقة بروعة البطولة .

بينما تتنافر في الامة المهجينة عناصر البنية في الفرد وتسطو الرموز على
مظاهر الحياة الاجتماعية فتكسف العبارة وتنجب النفوس بها عن حقيقتها فترق
حينئذ الحياة وتركد ويتغلب عليها الشكل والتكلف ، وتبدو فيها المؤسسات
عديمه الانسجام بنشأتها وباتجاهاتها العامه، فتفقد بذلك الشخصية مقوماتها من
الصميم ومن البيئه .

مدخل الى الكتاب

اولاً : يحتوي هذا الكتاب على اكتشاف اولي واساسي في تاريخ الفكر الانساني ، وهو نشأة اللسان او كيفية ايجاده . فاللسان العربي ، بفضل بنيانه الاشتقاقي ، مازال محتفظاً بنشأته عن الصور الصوتية البدائية ، وبتحول كافة كلماته عن هذه الصور المقتبسة مباشرة عن الطبيعة ، وهو يلقي ببنيانه البدئي ضوءاً على علاقته بلغات الشعوب السامية من جهة ، واللغات الهندية الاوروبية من جهة ثانية ، فيهدينا بالنتيجة الى القرابة بين امم العرق الابيض بالاصل وباوطن . وهو يساعد بنمطه اخص ايضاً على تمييز الكلمة الدخيلة من الاصلية ، وعلى التحرر بذلك من الركافة والهجانة (الفصل الأول) .

ثانياً : يبين كيف يكشف بديان هذا اللسان الاشتقاقي عن منظومات اسرة الكلمة . حيث يكون الحدس قواماً للكلمات المشتقة عن ذات المصدر ، وموجهها في صنعها مستعيناً على تفننه بصورة صوتية مستندة خصوصاً على وضاحة الصور المرئية الملازمة لها . ولما كانت الحياة نفسها

متفتحة عن هذه الحدس وكانت وضاحتها متعلقة بمدى اصابتها في اختيار الصور فان ذلك يهدينا الى ادراك الشبه بين بنيان البدن وهداية غرائزه في توجيه العلوم الصحية وبين هذه الحدس في بنياننا النفساني وهدايتها في انشاء ثقافتنا ، فنحصل بهذه الهداية على نهج اصيل في دراسة حياتنا الفكرية بحيث ينقشع الحجاب المزعوم بين الطبيعة والملا' الاعلى ، (الطبيعة وما وراءها ، ميتافيزيك) وفضل هذا النهج تتحرر المفاهيم الاصيلية من التصورات الفردية (arbitraires) الحاصلة من معنى الكرامة المتعارف ، والتعريف الذي يبنيه الذهن الفردي . (النصل الثاني والثالث)

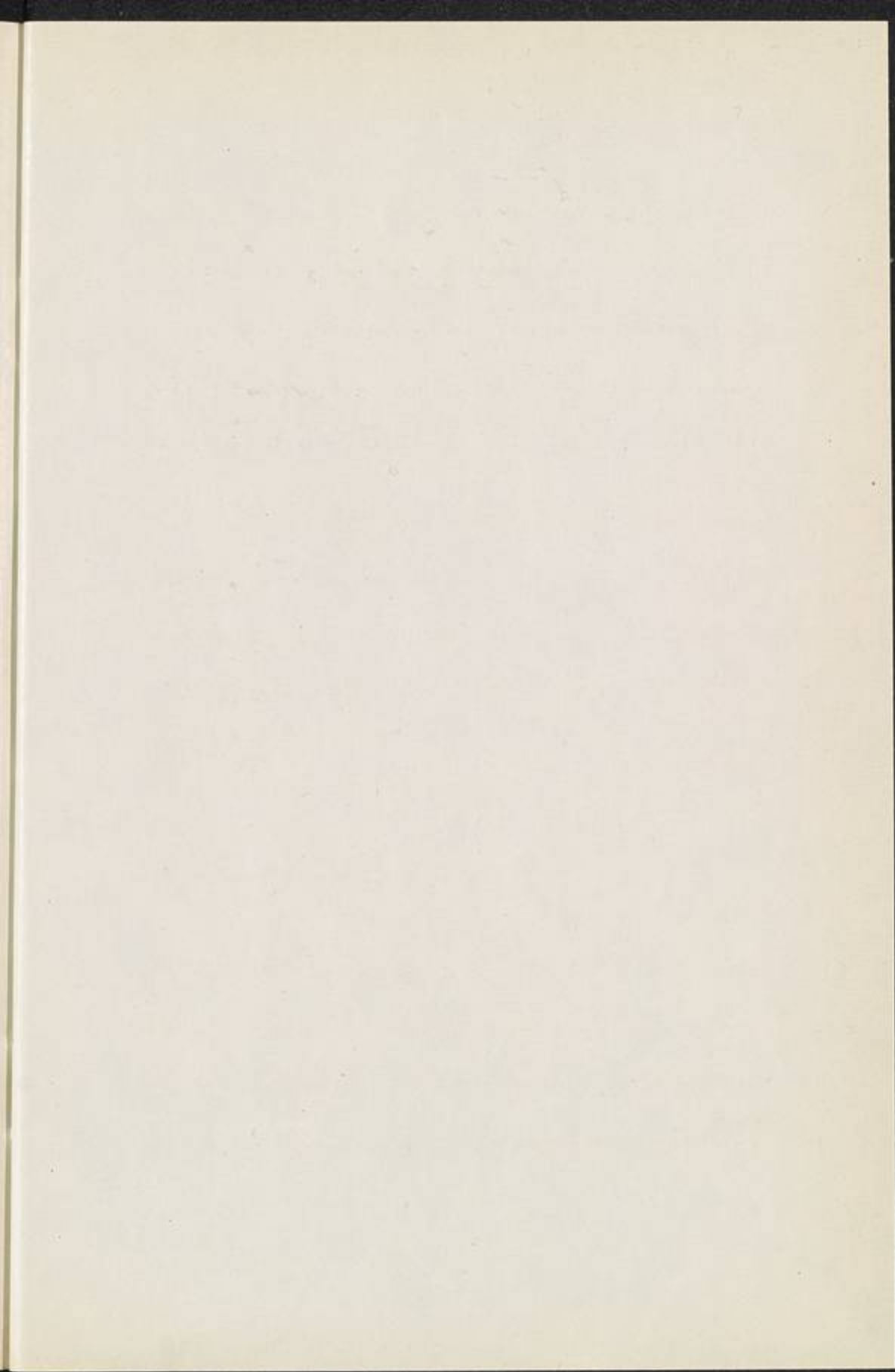
ثالثاً : يبين كيف نهتدي بتلازم الصور الصوتية ، المرئية في منظومة الاسرة الى بعث الخيال الاصيل ، فالوصول الى ينبوع الحياة بالنسبة للسان بحيث تتميز هذه المؤسسة المتمتعة بخلود الامة التي اوجدتها عن بنيان البدن الذي ظل متصلاً بالقدر بانغلاق المكان والزمان في وحدانية نموه وخاضعاً بهذا الاتصال للتحويل . (الفصل الرابع والخامس)

رابعاً : نهتدي باصطفاء الصور واختيار الافضل منها الى علاقة الصور بالمعنى - البيان بالحقيقة - هذه العلاقة التي ترتقي بها الى معرفة نهج الحياة الاصيل ، النهج الفني الذي تعدل به الحياة بين بواورها ، تحرراً

من ظرف المكان بغية الوصول الى البصيرة . حيث تستغني عن الطبيعة
قاعدة ارتكازها .

واخيرا تنتهي كافة مظاهر هذا الكتاب بفكرة « ان الحية معني ينشيء
الصور والخيال من الصور ، على درجات متفاوتة بالفسحة والعمق ،
تحقيقا للاية الساطعة من صميم الوجود . كاني بها تقنات بنجاوبها تجاوبا
صادقا . وتنمو ... »

* * *



موضوع الكتاب

الفصل الأول

اللسان العربي اشتقاقى البنيان . الصور الصوتية الطبيعية . الصور الصوتية البيانية . الصور الصوتية المدادية . اساس الصور الصوتية الاولية .
اللسان العربي بدائي وبديء . علاقة اللسان العربي باللغات السامية .
علاقته باللغات الهندية الاوروبية . المهجات العامية . تمييز الكلمة الاصلية
عن الدخيلة .

الفصل الثاني

علاقة الحقيقة ببيانها الحسى . النهج الفنى وتعادل المداد . البصيرة
النظرة الرحمانية . الحدس والقدر . قابلية الحركة البيانية : الفتحة ،
والركون ، الكسرة والنسبة ، الضمة والفعالية ، حروف العلة تفخيم بيان
حركتها ، بيان الحروف العربية : الغين والغموض ، السين والحركة

الباء والظهور . بيان علامتي الجزم والشدة . الجزم والافتضاب . الشدة
والكم في الحالة . بيان الكلمة العربية ووحدة الحدس . البيان في القواعد
الجمع يفتح خصائص الفرد . بيان صيغة المجهول . بيان التصغير . بيان
النسبة . المعنى والصورة . مدى البيان في اللسان العربي الرمز وضمور
المعنى . البيان في الفعل الثلاثي بالنسبة الى حركته ثاني حرف . تشكيل
الافعال الرباعية . البيان في صيغ الاشتقاق .

الفصل الثالث

الكلمة مصدر انبعاث المعنى : تباين المعنى بالصورة ، اسباب تيه
الخيال ، الجمهور يحدد شطط الخيال ، اللسان العربي ينطوي على
مقومات النفس كانبواء البدن على الغرائز . اللسان العربي ملخص
بتجليات الامة ، الكلمة تحدها معناها باسرتها ، ذكاء وذكاء ، الابهام
والبهيم ، النعوض والغوامض . العداز النوعي ، والحلم والعلم ، البقرية
وطريق الخلاص ، واللذة والتفائل في الحياة ، الألم بالتفاس السعادة
بتذليل الصعوبات ، التعاسة بالمعجز عن التحقق ، الفرح والصبوة .
الحزن والانكماش ، انحراف الكلمة عن اسرتها ، التلازم بينها وبين

العربي صانعها، الكلمة ونظرة الامة، اسباب المترادفات، الكلمة
 والموجة التاريخية، الفضيلة بين النيبض والنظام. السامبون والآربون،
 وحدة العرق الابيض، وتلازم ثقافته، النية والهمة، نمو النفس،
 المعرفة والحياة، المعرفة الكونية والمعرفة الرحمانية، البوادر والخيال،
 النفس تقتمت بالحقيقة، الهمة والمسؤولية، عوامل الضلال، الاصاله
 وتلازم المسؤولية، النية والعاده، العهد الذهبي، انحلال المجتمع، النبوة
 وتجديد القيم، الفضيلة بين النبوة والعاده، النبوة غاية الحياة، الجاهلية
 عهد العرب الذهبي، عوامل الانحلال، الاسرة والتلازم، الاصاله
 والانسجام، بنية الامم الحديثة.

الفصل الرابع

الحدس والعقلية، قطبا الوجود، التجلي والاستجمام، تفاوت في
 الاحساسات، الاساطير والوثنية، الروح والبدن، وجهتا الوجود،
 النزعة والشرع، الصوت ومداد البدن، بعث المفهوم بالصورة المرئية،
 دماغ، الطبيعة صور الانسان المستفاضة، الفن والصور، المرئية،
 الموازين والشعر، تجاوب الحدس والصورة، تلازم الصورة الصوتية

والمرئية في توضيح الحدس ، عبقرية كامنة ، ميزات الامة العربية ذهنيها
الوصفية ، المترادفات مبدعات فنية .

الفصل الخامس

نمو الكائن الحي ، نمو الامة وتلازم مظاهرها ، انفصام المدنية
والثقافة في بنيان الامة ، خلود الامة وتقدم مؤسساتها الدائم ، اللسان
العربي نفساني النشأة اجتماعي النمو ، الضمير حرفان : (ن) البيانية
و (هـ) الندائية ، الضمير والنزعة العربية ، التصغير والنزعة الفنية :
تقدير سخري ، البيان في التصغير ، نزعات الذوق العربي ، النسبة
التلازمية ، والنسبة الاسنادية ، قواعد النسبة ، النسبة بين مرحلتين ،
الكيفية ، الآبة وُخيالها ، المكان والزمان ، نشأة الظرف ، بيانه ،
المكان حجاب ، المكان اطار : يتعدى كل حد في اتجاهي الفسحة
والدقة ، الزمان والاستجمام ، الذهن العربي فنان ، اقسام الزمان ومرمى
اتجاهاتها ، الامداد والمرحلة التاريخية ، البصيرة والظروف والمكان
واسم الالة ، اسم الوعاء ، الكثرة ، اسم المعمل ، اسم المبالغة ،
المدد والمكان ، تجاهها الكم والكيف في العدد ، اسم الوحدة : اسم

الجزء ، اسم القلة ، بيان التنثنية ، نزعة الذهن العربي الاصاله ، الرشاقة
 الايجاز ، الجموع ، جمع السلم وتفتح المفرد ، جمع المكسر . ويانه ،
 نزعة الذهن العربي فيه ، حدس القدر ، النظرة الرتيبة في الوجود
 الوحدة والمنظومة ، النفس والمعنى : بين الاسم والفعالية فهم الثقافة
 الحديثة بالاسم ، الاسم في الثقافة السامية ، الاسم السحر ، الارادة
 والقدر ، شأن الدماغ، اتجاهاً لن يتلاقيا ، بنيان الكون الرياضي ، انحلال
 الذهن الحديث ، الصبوة الى المعنى ، اتجاه المعرفة الرحمانية ، العرب
 واوروبا الحديثة، البطل والقدر، النور والظلمة ، الزمن والذهنية العربية
 بين الاصاله والتقدم ، الفعل بالنسبة لشروطه. النهج التقدمي في الذهنية
 الحديثة ، الاسم الامة البدئية الفعل والواقع، صيغ الاسماء ويانها ، نصف
 الوجود الثاني، المذكر والمؤنث والفعالية والر كون .

الفصل السادس

مماثلة الانسان وفكرته ، الهمة والغاية ، الحياة فن ، العدان والقدر ،
 درجات المعرفة ، والانواع الحيوانية، التطابق على البيئة ووجهة النظر،
 الانسان على صورة الاله ، الاتصال بين الضمير والوجدان ، الخيال وانشاء

الشخصية ، والاختيار والمسؤولية ، الخيال والمرتبة الانسانية . شاء ، وشي .
 العبقرية والنية الانتباه ومصمم الحياة . الاية والمفهوم . مخطط البدن .
 القيم الانسانية المجتمع الكامل . العقيدة والوضع الاجتماعي البدئي . الزعيم
 الضمير الاجتماعي الفن ، وحدانية فنية ، ووحدانية واجدة . الصور في
 لوحاتها . والفكرة في رتبها . الرسالة في المجتمع . العقيدة وفلسفتها .
 الأناية والزهد . التلازم بالمسؤولية . التجاوب الرحماني . النبوغ
 والعادات المصطنعة . البصيره والبصر . الاستطلاع الحياة معنى بدئي
 النسبي والمطلق . الحياة تفسير بدئي . نزعة الذهن العربي الفنية .
 حكمة النفرة من التكرار . العمه . النبوة والبطولة .

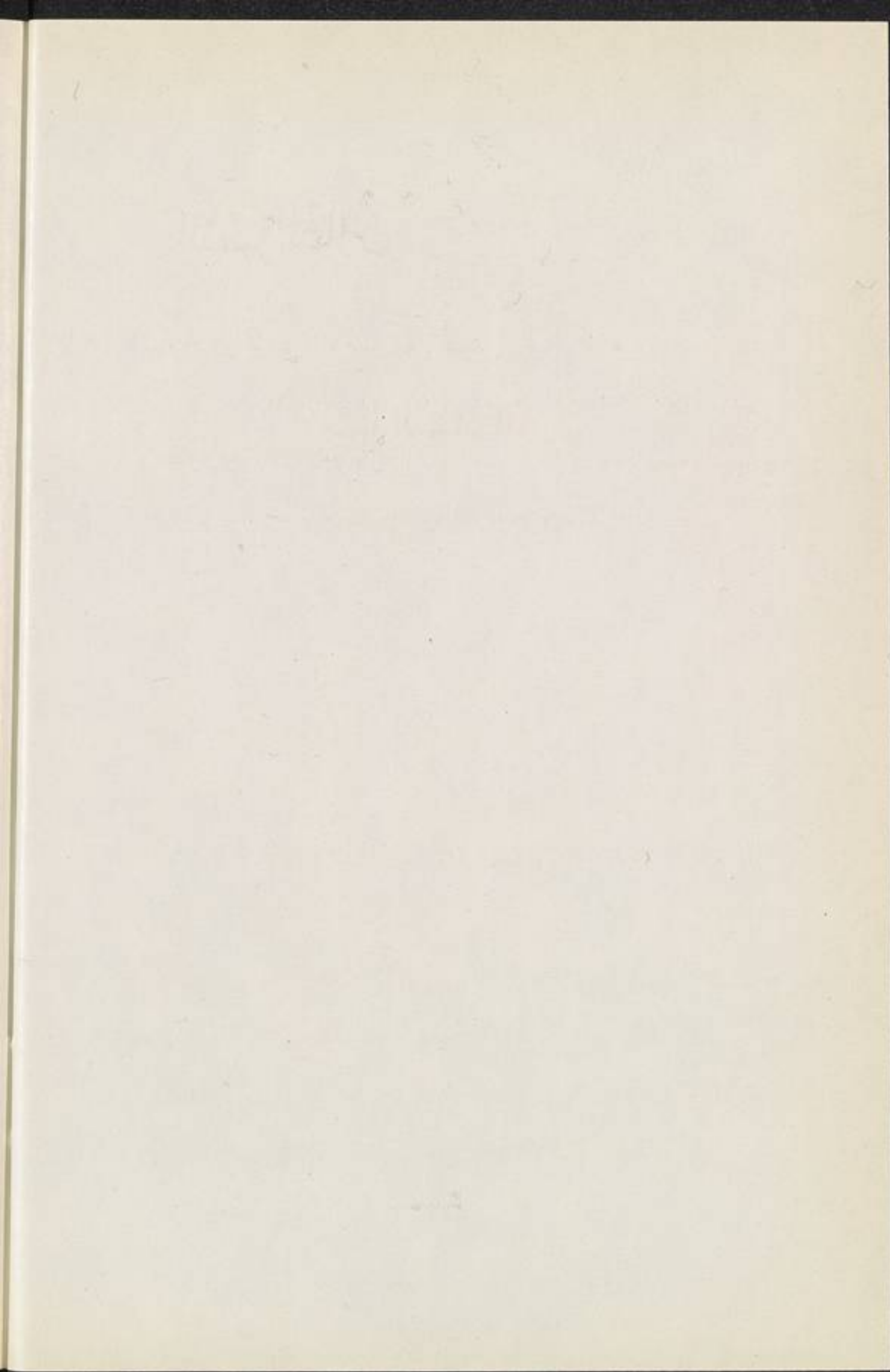
الفصل السابع

الابداع . الحسن . الجمال . تلازم اجزاء الكلام وانسجامها في
 اللسان العربي . المنظومة والقانون . بيان الصورة وتأثيرها السحري .
 حرف الباء . الحرف الصوتي . الأنغام العربية وتلونها .

الفصل الثامن

الأمة وفلسفتها، الأمة آية، طريق الحياة، علاقة الملائكة الأعلى
بالطبيعة. ماهي الأمة العربية، الأمة المهجينة، الذهنية العربية، المفاهيم
الانسانية الحرة، الامر والقانون، المساواة، تمايز الامم غاية المدنية
الحديثة، الشعر عند العرب، المدنية العربية، غاية الثقافة العربية.

• • •



الفصل الأول

منشأ اللسان العربي

اللسان العربي بدائي، وبديء

(primaire) et (originale)

إنَّ اللسان العربي اشتقاقِيّ البنّيان ، ترجع كافة كلماته الى صور صوتية ، مرئية ، مقتبسة مباشرة عن الطبيعة :

عن الطبيعة الخارجية تقليداً للاصوات الحاصلة فيها ، مثال ذلك :
« تَرَّ » ، « فَقَّ » ، « خَشَّ » ، « خَرَّ » ، « زَمَّ »

أو عن الطبيعة الإنسانية بياناً لمساعرها ، مثال ذلك : « أَنْ » ، (أَهَّ)

١ - فن « تَرَّ » (وشكلها الرباعي « تَرْتَرَّ ») ، وهي الصورة المقتبسة

عن سقوط الماء متقطعاً ، حصل فعلا الثلاثي والرباعي البدائيان : اما

بتشديد الحرف الثاني ، وإما بتكرار المقطع ، (وهما عبارتا الفعالية) :

ومن هذا الفعل الثلاثي اشتق الذهن العربي الافعال التالية :

من لفظة «تَرَّ» اشتقَّ : «تَرِهَ» ، «تَرَكَ» ، «شَرَعَ» ، «تَرَسَّ» ،
بتبديل الشدة بحرف ملائم للتعبير عن ذلك المعنى المتفرع، كما تبين من
هذه الامثلة .

وهناك بعض الأفعال والمشتقات التي تكشف عن اتجاه الصور الصوتية،
المرئية ، الأولى :

«تَرَّ» العظمُ : انقطع وسقطَ ، «التَرِيُّ» من الايدي : المقطوعة .
«تَرَّتَرَّ» : استرخى في بدنه وكلامه . «تَرَحَّ» المتراحُ من النوق التي يسرع
انقطاع لبنها . «تَرَعَّ» ، الاترعُ من السبل ما يميل الوادي . «تَرَكَ» :
التركة والتَّريكة : البيض بعد خروج الفرخ منها . «تَرِهَ» تَرَّهات
الكلام : سواقطه . «تَرَزَّ» الماءُ : جمده . «تَرَى» : ترأخى .

يستعين الذهن العربي ايضاً على التعبير عن المعنى المتفرع
بتبديل أحد حروف الصورة الصوتية (البدائية) بحرف
متقارب بالصدور من نفس المخرج . من فعل «تَرَّ» مثلاً إمَّا بتبديل
«التا» بإحدى شقيقاتها : «د» ، «ث» ، «ذ» ، «ط» ، «ض» ؛
وإمَّا بتبديل «الراء» بشقيقها «ال» ...)

وإليك الافعال والمشتقات الحاصلة عن هذا الاصل مع الاحتفاظ
بطابع الاتجاه الاساسي للصورة «البدائية» :

من «تَرَّ» بتبديل «التاء» بالحرف (د) ينشأ «دَرَّ» . (دَرَّ) الحليب :
 كثيرُ . «الدارُ» من النوق : الكثيرة اللبن . «المِدْرَارُ» : الكثير
 السَّيلان . «دَرَأُ» السيلُ عليه : اندَفَع . «الدَّرْبُ» : الأثر الملقى على
 الأرض (درب التبان) . «دَرَجَ» الرجلُ : مات ولم يخلف نسلاً .
 «دَرِخَ» : هرم . «دَرِدَ» : ذهبت أسنانه . «الدَّرْدَرُ» منبت
 الأسنان . «دَرَسَ» : ذهبت آثاره . «دَرَجَتِ» الناقة : تكسرت
 أسنانها . «دَرَعَ» الرقبة : فسخها من المفصل .

«دَرَفَقَ» و «ادْرَنْقَ» في سيره : اسرَعَ ، «دَرِقَ» : (الدرقة) :
 السحاب ، «دَرَقَهُ» الرجل : وقص «دَرَكَ» المطرُ تابعُ قطره
 «الدريكة» : الاختلاط والزحام

ومن «تَرَّ» أيضاً بابدال (التاء) بإحدى شقيقاتها - (التاء) مثلاً -
 حصلت المشتقبات التالية ؛ مع الاحتفاظ بالاتجاه الاساسي للصور الصوتية
 المرئية ؛ البدائية :

ثَرَّتِ العينُ والسحابةُ : غُرَّ ماؤها . «ثَرَّتَ» : أكثر من الكلام
 في تَرْدُدٍ وتخليط ، «تَرَدَّ» الخبز : فته ثم بله بالمرق التَرْدُ :
 المطر الضيف تَرِمَ : كُسِرَ سنُّه الاصيلي (تري) : ندي ولان
 بعد اليبس

ومن (تَرَّ) أيضاً؛ وبإبدال (التاء) بشقيقتها (الذال) تنشأ الأفعال
والمشتقات التالية :

(ذَرَّ) : نثر . الذَّرَّ (صغار النمل (ذُرِّيَّة) نسل (ذَرَبَ) اللسان
فحُش (ذَرَج) بالكلام : أكثر منه وأفرط (ذَرَفَ) الدمع : سال
(المذَرَّاف) : السبيل (أذَرَّتِ) العينُ دمعها : صبَّته

ومن (تَرَّ) أيضاً بإبدال (الذال) بالحرف (ض) اشتق الذهن
العربي الأسماء والأفعال الآتية : أضَرَعَت ؛ الناقة : نزل لبنها قبل
الولادة (ضَرَحَ) : شقَّ (ضَرَّتِ) البقرة : يبس ضرعها

وكذلك بتبديل الحرف (ر) بقريبه (ل) حصلت الأفعال والأسماء
التالية (تَلَّ) الحيل : أرخاه (تَلَع) و (طَلع) : بدا وظهر (تَلَّ) و (انثَلَّ)
انصبَّ «ثَلَبَ» : الرجل : تكسرت أسنانه «تَلِمَ» كسر النخ
ومنها أيضاً «دَلَّ» ؛ «دَاحَ» (أفرغ الحوض) ؛ فرس كثير
«الدَّلَج» كثير العرق . «دَلَفَ» ؛ دَلَعُ « النخ

ومنها «ضَلَّ» من (ضَرَّ) أي هلك «ضَلَعُ» من (ضَرَعَ) ؛

٢ - هَاكِ مِثَالاً آخَرَ : «فَقَّ» ، (وشكاه الرباعي «فَقَّقَ»)

وهذه أيضاً صورة صوتية ، مرئية . مقتبسة مباشرة عن الطبيعة
الخارجية . (وهي عبارة الماء الصوتية في حالة الغليان) فمن هذه الصورة

وبإضافة أحد الحروف المناسبة إلى الحرف «ق» حصلت الأفعال
 والمشتقات التالية: «فَقَأ» الدملة: شقها. «فَقَح» الجرو: فتح عينيه
 «فَقَه» للشيء: تفتح ذهنه له، «فَقَرَ» الخرزة: ثقبها. (فَقَلَ)
 البيدر: ذراه. (فَقَمَ): اتسع. وهكذا في (فَقَصَ) و (فَقَشَ) و (فَقَسَ)
 وكذلك من نفس المثال، بتحويل (القاف) إلى إحدى شقيقتاه
 الحاصلة من نفس المخرج، نجمت الأفعال والمشتقات التالية:

فتحويله إلى (ج) مثلاً حصلت: «فَجَّ» و «فَجَرَ» أي. شقَّ وأظهر
 «فَجَا». ومنها الفجوة - بنفس المعنى تقريباً. «فَجَسَ» الشر: ابتدعه
 «فَجَلَ»: (الأفْجَلُ) المتباعد القدمين. «فَجَمَ». (الأفْجَمُ) من
 ذهبت أسنانه. «فَجَنَ». فتح الباب. وهكذا «فَجَعَ» و «فَقَعَ». الخ
 وتحويل «ق» إلى شقيقه «ك» ينشأ: فكَّ الشيء: أبان بعضه
 عن بعض، نكسر: فكَّ الأفكار والمفاهيم فكَّع: تباعد، فكَّه
 فكَّل الخ

٣ - وكذلك عن خَشَّ - وهي صورة صوتيه مرثية، حاصلة عن
 حر كة في عشب يابس - بإضافة حرف ملائم للتعبير عن المعنى المتفرع
 حصلت الأفعال والمشتقات التالية:

فمنها خَشُنَ: غلُظَ وخَشَبَ: جَفَّ وخَشَرَ - خَشَرَ - خَشَعَ

أي خشبي من الدخول - خشف - خشل - ذل : وخاف - خشم - أخرج صوتاً من الأنف :

ومن خَشَّ وبتحويل الخاء إلى إحدى شقيقتها - ح - ق ، ع ، ه
نشأت الأفعال التالية ، منها - فَشَّ - و - قَشَرَ - و - قَشَعَ -
و - قَشَفَ الخ

ومن خَشَّ أيضاً ، بتحويل الخاء إلى حاء حصل - حَشَّ والحشيش
و الأَحْشُوش : الولد اليابس في بطن امه - وَحَشَأَ وضع في الأحشاء
وَ حَشَدَ الزرع - نبت كله وَ حَشَرَ وَ حَشَّرَجَ أي غرَّغَرَ عند الموت
وَ حَشَفَ : يبس وَ تَقَبَّضَ حَشَكَ : ضايق حَشَمَ : انقبَضَ

ومن مشتقاتها أيضاً : عَشَّ و العِشُّ و عَشَبَ و عَشَرَ - أي التعشير
والإدشور : ماضٍ مسلَّك من أرض أو طريق وعشق وعشم -

ومنها أيضاً هَشَّ الورق : جفَّ و يبس ، وَ هَشَرَ وَ هَشَمَ : كسر الخ

٢ - لم يقف الذهن العربي عند استعارة الصور الصوتية من الطبيعة
الخارجية ، بل استعان أيضاً بالعبارات الصوتية المجهزة بها الطبيعة الإنسانية
وإليك المثال - من عبارة أن أي الانين الدخلي - وهي عبارة التوجع
أنشأ الذهن العربي الأفعال والمشتقات التالية :

بإلحاق الهمزة أنشأ «أنا» وبإلحاق التاء «أنت» ، «أنتما» الضمائر الخ

ومنها أيضاً «أن» تأوّه، الأئين، «وأنب» عنّف ولام- وهي بعكس
أنّنه أي ترضاه و«أنس» وأنف والأنام وأني : دنا وقرب

وبتحويل الهمزة إلى إحدى شقيقتها العين أو «الحاء» أو «الهاء» ، نجمت
أفعال ومشتقات عدة منها. «عن» ومنها العينين؛ عن الشيء ظهر أمامك
عنب ، عنج ، عند ، عارض ، عنس ، عنف ، عنا ، بتحويل الهمزة
إلى «عين»

«وهن» أي بكى ، هنا بعكس عنا، وهنّف : دأعب ، بتحويل الهمزة
إلى «هاء» ، وحنّ ومنها الحنين وحنّا وحنث بتحويل الهمزة إلى حاء الخ
٥ - وكذلك من عبارة «أه» الصورة الصوتية البيانية لشعور التوجع
صنع، الذهن العربي بطريقة الإضافة والإلحاق المشتقات والأفعال التالية
أهّ ، وأهل ، وأهب

ومنها ، بإبدال «الهاء» خاء ، اشتقت الكلمات والأفعال الآتية أخ ،
أخوان توخى ، تأخ .. الخ .

٣ - لقد نهج الذهن العربي في تكوين الكلمات البدائية بالإضافة
إلى النهج الطبيعي السابقة ، أي (ازدواج الصورة الصوتية بالمرئية أو
الحالة النفسانية بعبارتها). نهجاً اصطلاحياً ، فالحرف الأسهل للصدور
والأبرز للظهور يسقطب الصورة التي تستدعي الاهتمام ، فيشير إليها بكلمة

ومن هذا التداعي صنع الذهن العربي الأفعال والأسماء ، مثل ،
 بابا من حرف الباء و«أب» وأبّ إليه أي اشتاق . و أبة أي فطن ، و
 «الأبهة» النخوة والعظمة ، وأبى : ترفع عن الدنيا ، وكذلك من حرف
 ما صنع الأفعال والأسماء الآتية : ماما ، أمّ ، أمّ أي قصد ، الأومة ، الإمام .
 أمد ، أمّل ، أمر . الخ

وبالإضافة إلى المناهج الأساسية في صنع الكلمات البدائية ومشتقاتها
 وجدَ الذهن العربي الأصول التي تنطوي عليها هذه المناهج وهذه
 الأصول قد تساعدنا على الكشف عن ماهية هذه المناهج فإن بعض الصور
 الصوتية ترافق حركة عضلات الفم ، وتستقطب العمل الذي تنجزه هذه
 الحركة فتعبر عن ذلك بكلمات ذات بيان مدّادي Rhythmique كعض
 وقضّ وبتّ وبدّ .. وهنا يسير الذهن في صناعة المشتقات على نفس
 النمط السابق أي بالحاق حرف ملائم للمعنى النزاع إلى التوضيح ، أو
 بتحويل أحد حرفي الكلمة بحرف من نفس الخرج ، مع المحافظة بالطبع
 على المداد Rythme الأساسي فن «عضّ» مثلاً وبالحاق حرف ملائم للتعبير
 عن المعنى المنفرع اشتقت : عضبَ : قطع وشتم . «عزبرَ» استأسد . «عضد»
 الشجرة : قطعها ونثر أوراقها «العزرسُ» البرد «العزطرط» الصعلوك
 المقطوع «عضلت» الأرض بأهلها اشتدت . «عزن» شم عضا «فرق» .

ومن «عض» بتحويل العين الى احدى شقيقاتها اشتقت ، «قض»
ثقب «انقض» انكسر . «قضى» الشئ : أكله فضب ، قضم ، قضع ، أي
مزق قصف : قطف ، قضقض . كسر النخ .

ومنها أيضاً بتحويل العين الى «هاء» اشتقت «هض» الشئ : كسره
وهضم . النخ ومنها أيضاً : غض الطرف : كسره وغضب أي كسرت نفسه
فاهتاج ، وغضف : ومنها أيضاً : قطّ و قطع و قطب و قطف و قطل و قطم
ومنها أيضاً : قدّ الشئ قطعه و «قدر» قسم ووزع و قدس قطع القدس
حجر مقطوع . القدّوس : الشديد و قدع تقادعوا أي تقاطعوا بالرماح ،
و قدف و القدموس الصخرة العظيمة

ألا ينطوي الميجانُ وعبارته (الحركة العضلية والكلمة المقترنة
بها، الصورة المرئية والصوت المرافق لها على مداد مشترك؟ المدة والامتداد
علاقة الزمان بالمكان انّ المداد قوامُ الصورة، ومثبتها في الدماغ، وباعتها
الى الذاكرة عند الحاجة، فهو يعدل تجلياتها المختلفة مرئية صوتية
النخ، وهو من الحالة النفسانية بمثابة البدن من النفس

ولما كانت الحياة تنمو باتجاه الباصرة (حس البصر) فإن الصور المرئية
بالنظر لدقتها Nuance ووضوحها في التعبير عن المعنى قد سطت على
اللسان وطبعته بخصائصها

ملاحظة :

١ - ان اللسان العربي بالنظر الى نشأته (صور صوتية مقتبسة عن الطبيعة مباشرة) وبالنظر لصناعته أيضاً تجلى العبقريّة العربية في كافة أصوله أي في منظّمته الصوتية وفي قواعده النحوية وفي مفرداته هو بدائيٌ وبديء. وكلُّ كلمة أو قاعدة تحمل طابع عبقريته أيّاً كانت فهي مستعارةٌ منه .

٢ - يتبين من سير الحوادث التاريخية أن ما يبدعه الإنسان من أفكار ومؤسّسات وما يخرجه من آلات ينتقل من أمة الى أمة أخرى ، ومن اقليم الى اقليم شتى ، حتى يشيع هذا الاختراع أو ذاك الابداع في العالم ذات المرحلة التاريخية المشتركة

وإذا كان تطبيق الآلة على الطبيعة، وما ينتج عن هذا التطبيق من رفاهية، يشفع بانتشارها وتعميمها، فإن الأفكار والمؤسّسات الاجتماعية أيضاً تجيب: إما على وضع مشترك دعت إليه تطورات المدنية، وإما على بيان انساني مماثل تتمخض عنه هذه الامم، أعني أن الانظمة الاجتماعية كالديموقراطية في مرحلة المدنية الحديثة، والفروسية في القرون الوسطى، قد انتشرت في الأقاليم وبين الامم ذات المدنية المشتركة

وكذلك الديانات السامية كاليهودية والمسيحية والاسلام قد عمت

أيضاً بدورها أمم العرق الابيض وحتى انها قد تعدت حدود هذا العرق
الى العروق الأخرى

ان الديانات القديمة كانت تنبت محليةً (Local) فلكل من الإقليم
والمدينة وحتى والعائلة ديانتها. وما بدت الديانات السامية ذات الطابع العبقري
أي التي وضعت من قبل موسى وعيسى ومحمد (هذه الديانات التي استجمت
فيها النزعة الدينية فسطع بهاؤها وبهرت العالم القديم فما هي ان بدت حتى
تقلصت تلك الديانات المحلية المتكونة باشتراك الجمهور (anonyme) وبلدت
في ظل هذه الديانات السامية. ومع ذلك كله فإن الأمم والجماعات التي
تخلت عن ديانتها عندما ظهر ما يعبر عن نزعها الدينية بصورة أكمل
قد أخذت تخني بتأثير عبقريتها الخاصة من هذه الاشكال المنروضة عليها سواء
في الديانات أو في الأنظمة المعبرة عن وضع تاريخي معين فتحاول توفيقها
مع مصمم بنيانها الخاص. وهذا ما يكشف لنا عن تطور المسيحية والاسلام
والديمقراطية والفروسية عند الامم المختلفة

ألم يحدث في إنشاء اللغة ما قد حدث في ابداع الديانة ويجاد
النظم الاجتماعية ؟

إن الانسان مجهز بغزيرة الكلام كما هو مجهز بالغزيرة الدينية، ولما كان
المنظ بين الامم والافراد غير متساوٍ في ايجاد الصور المعبرة عن

هذه الغرائز، والمحقة لها. فقد قادت الأمم التي هي أكثر من غيرها حظوة من هذه القابلية سواها على شفقها. فالقواعد المشتركة بين اللسان العربي ذي البنين البديء واللغات الهندية الأوربية من جهة واشتراك المفردات أيضاً بالإضافة الى القواعد النحوية بين العربية واللغات السامية من جهة أخرى، تكشف عن علاقة هذه الامة العربية بهذه الشعوب وتلك الامم فتؤيد وحدة النشأة اللسانية في هذا العرق، وتبين فضل الأمة العربية عليها، لا يجادها الالة التي امتاز بها الإنسان على الحيوان، والتي شيد بنيانه النفساني والاجتماعي بالاستناد عليها.

وبذلك يصبح عندئذ فضل الامة العربية (مصدر الشعوب السامية على سير المدنية بإبداع الديانات الآلهية ، وإيجاد اللغة .
وإذا كانت الديانات من مُبدعات نوابغ الساميين ، فإن اللغة هي من مُبدعات أمة تتمتع أبناؤها بالتبوغ في هذه الناحية .

ألم تكن جماعات العرق الأبيض متجاورةً بالانشاء كما هي متقاربة بالجنس ؟ وهكذا فان الأكثر استعداداً من بينهما على إيجاد الصور الصوتية التي هي للانتشار كانب أقرب حظاً في تعميم لسانها الذي اصبح بطبيعة الحال أكثر انتشاراً .

ولقد حصل لانتشار اللغة وتعميمها في فجر التاريخ ما حصل للأنظمة

الاجتماعية أخيراً ، وللدائيات السامية من قبل ، وكما يحصل الاختراعات الفنية دائماً. فإن كل جماعة تجيب على هذه الصور المتبينة بعبقريتها ، فتحرفها تدريجياً إلى ما يتفق وطبيعة مزاجها . وبذلك تتطور الصورة وتختلف عما هي عليه في الجماعات الاخرى . واذا أضفنا إلى هذا السبب الأصلي في انتشار اللغة الظروف المحيطة بهذه الجماعات خلال تطورها التاريخي وما استدعت هذه الظروف من معان خاصة تبينت لنا عندئذ أسباب اختلافها .

٣ - إن دراسة اللغات السامية من وجهة نظر الاشتقاق ، ودرجة تفرعه ، ومدى البيان في الحروف والحركات ، في الكلمات والأعراب ثم دقة القواعد النحوية ، كل ذلك يكشف لنا عن نسبة صلاحها باللسان العربي . ثم إن هذه الدراسة تهدينا أيضاً الى كيفية تكون هذه اللغات بانحلال اللغة الفصحى ، وذلك اما بتأثير انتقال شعوب عربية فجأة الى مرحلة مستحدثة من المدنية ، بحيث تتفكك روابط الاشتقاق ، فتشذ الكلمات عن منظومة معاني أسرتها ، ويطمس على معظم القواعد النحوية ، وتفقد الكلمة والجملة بيانها ، وتقرب حينئذ من شكل اللهجات العامية : وإما بتأثير الشعوب الأعجمية المستعربة أو طفيان الهجانة في الدم العربي ، بالتداخل في الميول التي يتألف منها قوام الأمة العربية

(مبدعة لسانها تعبيراً عن ذاتها) . وقد تنتهي هذه الدراسة بتحديد
ذيك العاملين : (الهجانة بالدم والثقافة) في تكوين هذه اللغات .

ألا تعطينا « اللهجات العامية » صورةً عن كيفية تكوّن اللغات
السامية بانحلال الفصحي ، بحيث تتبدل مواقع الكلمة في الجملة : (تقدم
الفاعل على الفعل ، فقدان الاعراب منها ، التباس الجنس بين مذكر
ومؤنث ، ضعف الجموع فزوال البيان من الحروف والحركات والكلمات
فتفكك الاشتقاق فاستقلال الكلمة عن منظومة معاني أسرتها .. الخ) .

٤ - لقد خصّ العربي لهجته بحق بكلمة « لسان » ، هذه الكلمة
المؤلفة من الحروف « ل » ، « س » ، « ن » الرشيقة ، وأطلق على اللهجات
السامية كلمة « لغة » من « لغا » « بلغو » وما يتصمن حرف « النين » لما فيها
من غموض وإبهام وأطلق على اللغات الأعجمية كلمة « بربر » لما فيها
من ركاكة .

٥ - أن الكلمة التي لا يمكن ارجاعها إلى صورة صوتية ، مقتبسة
عن الطبيعة وفي حدود الصناعة العربية ، هي كلمة دخيلة على العربية .

الفصل الثاني

البيان الصوتي في اللسان « العربي »

تجلى الحقيقة للنفس وتوضح لها ، مئاماتسع دائرة اضاءة المصباح باقتراب هذه الدائرة من الناظر اليها ، وبينما يتحرك المصباح باتجاه الناظر فالحقيقة مستقرة وثابتة ، والنفس هي التي ترتقي اليها مستندةً برقيها على الصور الحسية ، والأفكار التي تجمل هذه الصور .

فالنفس ترتقي اذا نحو الحقيقة بالاستناد على المفهوم الذي انشأته من الصور الحسية والأفكار التي تجمل هذه الصور على درجات متفاوتة ، محتفظةً بنسبة تلازمها وتعادُل مدادها ، كما تكبر الصور الشمسية المستدقة على مقاييس مختلفة ، تلك الصور التي تكون مقتبسة من آفاق عالية فتعيد عند التكبير الى الاشياء المأخوذة عنها نسبة تلازمها الاصيل والنفس وان ارتقت الى الحقيقة فهي ليست منفصلةً مطلق الانفصال عنها ، بل ان الحقيقة هي من النفس بمثابة الجنين من أمه ، فحينما تتعقد الحياة في الرحم على الرُشيم ، يأخذ المخطط الذي ينطوي على مِداد

الرشيم بالتفتح ، وتلازم عناصره المتفتحة ينتقل الجنين الى طفل فصي
 الى ان يستكمل شروط نموه بالشيخوخة . ان الحياة (أو المعنى الذي
 اختار هذا المداد بدنا يعبر به عن وجهة نظره في الوجود) تلازم نمو هذا
 المداد أو البدن منتقلةً من الغموض والابهام الى الوضوح
 ولما كان مصمم الحياة في الانسان يتعدى حدود بدنه فانه
 خلق عالماً من رموز (المؤسسات العامة : كالعرف ، والاخلاق ، والفقہ
 واللغة .. الخ) تحقيقاً لما ينطوي عليه . وان الحياة ، عندما تستوفي
 شروط تحققها باستجرام هذه التجليات المقابلة لتلك المؤسسات العامة ،
 ينكشف لها بنينها بالبصيرة ، أو النبوة ، (وهما شيء واحد) . فصدر
 الانبثاق هو إذًا نظرةً رحمانية في بيان الوجود (الحياة والكون)
 وهذه النظرة إما أنها بصيرة (مستنيرة بنور ذاتها حيث المعرفة والوجود
 متآحدان) تسبق حينئذ تجلياتها وتوجهها ، وإما انها حدس يلتبس فيه
 المعنى بالصورة ، وبتساندهما (المعنى والصورة) وتجاوبها يتحقق : أي
 أن الصورة تستدعي المعنى إلى الوضوح والمعنى يلقي شقيقه على اتجاهات
 الصورة فيستقطبها وبها يتحقق . ولكن القدر ، (وهو تلازم الحوادث
 خارجية كانت أو داخلية) يكون تياراً من التلازم المتدافع المظاهر
 فيغمر بزغته المتدافعة هذه النظرة الرحمانية أو الحقيقية ، ويكسفها

بموجته عن النفس ، كما تكسف الغيوم النجوم عن الرؤية . ومع ذلك فقد تظل بعض الأشعة مائلة من خلال هذا الحجاب السديمي فيسرع الذهن حينئذ الى تثبيتها ، بمفهوم مقتبس الإطار من المكان ، وما الحياة المتجلية في هذا المفهوم إلا ذكرى تلك النظرة تحتفظ بها كما تحتفظ القطعة الفنية بمشاعر الفنان مبدعها .

تلك النظرة الرحمانية في الوجود متحررة من علاقات الزمان والمكان ، ومن الصور التي ينطوي عليها هذان الظرفان .

أما في الحدس ، فصيطفي المعنى الصور المحققة له من بين البوادر البدنية ، التي هي أكثر صلاحاً لوجهة نظر الإنسان في الوجود ، فيتخذ الأصوات الموافقة لهذه البوادر ، والمنطوية على مدادٍ مشتركٍ معها ، فيصنع منها الكلمات وهذه تصبح بدءاً له . ولما كانت الحياة تنمو بتجاوب بين المعنى وتجلياته ، بين الملائ الأعلى والطبيعة ، فالصور التي تتجلى بها هذه الطبيعة للإنسان هي على الخصوص مرئية ، مما أدى إلى تفرع الصور الصوتية ونموها بتداعبها مع الصور المرئية . فالكلمة تحتفظ ببيانها بنسبة ما تشترك هذه الصور الصوتية ، المرئية ، بالمداد الأصيل (مداد البوادر التي اختارتها الحياة بدءاً لها) .

قابلية الحركات البيانية :

في الكأمة العربية ، تحتفظ الحركة بمدادها الأصيل ، فتعبر بذلك عن معناها البدائي ، فالمتحة الحأصلة بحسب مخرجها عن ركون اللسان عند صدور الصوت ، تعبر على السكون أو الاندراج في المكان . والكسرة الحأصلة عن صدور الصوت ، بكسر الشفتين ورجعتها تعبر أيضاً عن النسبة ، أو عودة الحالة الى الذات . وكذلك الضمة الحأصلة عن تدافع الصوت عند خروجه تعبر عن الفعالية المتواصلة ، والدائمة .

ففي الاعراب (أو وظيفة الكأمة في الجملة) مثلاً يبدو بيان الحركات بصورة مطردة . فالفعل المضارع ، ذو الفعالية المتواصلة ، يعرب مبدئياً بالضم . وهي عبارته الطبيعية . وكذلك الفاعل يعرب أيضاً بالضم ، بينما ترى المفعول ، لكي يحتمل فعل الفاعل ، يعرب على الفتح . وكذلك الفعل الماضي ، يدخل في الركون باعراض الوجدان عنه ، فيبنى على الفتح بياناً لذلك : أما الأمر والنهي فانها بحسب طبيعة مفهومها يجزمان . ويعبر عن التوكيد بالشدة ليكون هناك تلازم بين العبارة والمعنى المقصود بيانه . ويعبر عن الجرور أيضاً بالكسر تخفيفاً للنسبة .

تحتفظ الحركة ببيانها في بيان الكأمة أيضاً ان لم تعثرها ضرورة صوتية . وإن صيغ الفعل الثلاثي ، كما أوضحنا ذلك في مبحث المشتقات

الفعلية ، حاصلةٌ بالنسبة لحركة ثاني حرف منه . كذلك نجد هذه القاعدة على الأغلب في أسماء المصدر والصفات .

ولما كانت حروف العلة بحسب شكلها وكيفية تكونها ، تفضيماً للحركات المتباعدة لها أي أن « الواو » تفضيم الضمة ، و « الياء » تفضيم الكسرة ، و « الألف » تفضيم الفتحة ، فهي تعبر أيضاً عن نفس المعنى بصورة منمخمة : فهم ، فهم ، نبه ، نبيه ، متهم ، متهم .. الخ .

٢ — يتمتع الحرف العربي أيضاً بقيمة بيانية ، وإن اتحدت هذه القيمة بمنظومة الكلمة الصوتية ، إلا أن بعض الحروف يقوم في هذه المنظومة بمثابة نبرة الايقاع في تعيين بيان معنى الكلمة ، وفي الحرف الأول من الكلمة على الأغلب بهذه الوظيفة .

وهنا نحن نورد هنا بعض الأمثلة المتبسة من حروف : غ ، س ، ب ، ايضاً لوجه النظر هذه ، ونترك للاخرين إتمام هذا الموضوع .

ان حرف « غ » هو ابلغ بياناً من كافة الحروف الأخرى ، فبحسب مخرجه وما يلقي من صدى في النفس عند خروجه يعبر عن معنى تنطوي عليه تقريباً كافة الكلمات التي تبتدىء به ، ألا وهو : الغيبة والغموض . منها : « غب » والغب هو الغامض من الأرض ، و « غبر » منى . و « غبش » : الليل أظلم . و « أغبط » : النبات : تدانى وغطى

الأرض . و « غبن » الغبانة ضعف الرأى والنسيان . و « غبى » :
 الغبوة الغفلة . و « غبى » الشيء : سره . « غنت » غط . « أغدق »
 الليل : أرخى سدوله . و « الغدراء » : الظالة . و « غرب » النجم :
 غاب . و « الغريب » : الأسود الحالك . وهكذا : « غرز »
 و (غرس) و (غلف) ، و (غرق) ، « غزا » الشحم قلبه : غطاه
 و « غشم » الليل : أظلم . و « أغشى » : غطى . و « غض » ، و « تفاضى »
 و « غط » و (غطى) و (غضب) و (غضى) ، و (اغلواب) العشب :
 تكاثف ، و (غلظ) ، (غلظ) ، و (غاص) و (غمد) ، و (غم) ، و (غمر)
 و (غمس) . النخ

أما حرف (س) فيعبر حسب صدوره عن معنى الحركة أو الطلب
 وهو يحدد المضادع نحو المستقبل ومنه : (أسأرك) الرجل سار ليلته
 كلها ، و (سأل) : طلب ، (وسأى) ، غدا وركض ، و (السبب) :
 الذريعة وما يتوصل به الى غيره ، و (السبأة) : السفر البعيد ، وانسبت
 الشيء امتد ، و (سبج) الرجل : أبعث في السير ، و « سبر » : تعمق
 و (سبب) الماء : أساله ، و (سبق) و (سبل) و (أسبل) و (ستل)
 القوم : خرجوا متتابعين واحداً اثر الواحد ، و (سته) الرجل : اتبعه
 و « ستا » : اسرع ، و « الساجع » من يسير نحو الفصد بلا ميل ، و

« تسحیح » الماء : سال من فوق ، و « سخرت » السفينة : جرت
وطاب لها المسير ، و « انسدل » الشعر : ارتحي ، « سرب » الماء :
جری . « سربخ » الرجل : مشى رويداً رويداً . « سرحت » المواشي
« سرتع » : عدا عدواً شديداً من الفزع . « سرع » . « السرمد » . سعم
البعير : سار سريعاً . « سعى » و « الساعي » و « سف » الطائر ، و
« سفر » و « سفل » و « سفى » أسرع في الجري والطيران ، و « سقط »
و « سكم » مشى على غير هداية ، و « سل » و « سلت » و « سلا »
و « سلحف » و « سلس » و « سلال » و « سلعن » في عدوه و « سلك »
« السمور » من النوق : السرب ، « سسم » التغلب عدا « سما » : علا
وارتفع ... « ساج » ، « سار » « ساح » (سال) . . الخ .

واما حرف «ب فانه، بالنظر لسهولة حصوله ، يدخل في منظومات
صوتية أي «كلمات» ذات معان مختلفة؛ ومع هذا فإنه يتغلب عليه معنى
«الظهور» و «الوضوح» ، وهو المعنى الأكثر توافقاً مع مصدر خروجه
من الفم ؛ منها :

« بدأ » (وهي من (بَدَّ) ، وهذه من (بَتَّ) ، فسرعان ما انجبه
المعنى نحو الظهور) ، « بَدَحَ » بالسر : باح به . « بَدَخَ » . « بَدَرَ » .
(بَدَعُ) . « بَدِنَ » . (بَدِه) . (بَدَا) . بدىء . بدخ : عظم شأنه

(برج) . برز . برع . برعم . برق . بسق . بسم . بزغ .
بزع . بضع . بقل . بلج .. وهكذا .

البيان في علامتي الجزم والشدة

الجزم هو ادغام حرفين وتحريكهما بحركة مستدقة . فتبدو في هذه القاعدة احدى نزعات اللسان العربي الأساسية وهي تحوُّلُ حرف العلة إلى الحركة المقابلة له والحركات ما زالت محتفظة بالشكل الاصيلي . فالضمة تصغير (و ، والكسرة تصغير «ي» والفتحة تصغير «ا» . فهذه النزعة إلى الاقتضاب ، واقتصار الشكل تشمل كافة عناصر اللسان : الحروف والمقاطع ، وبيان الكاهة حتى والاسلوب ألا يتحول حرف ل «من» «أل» الى طبيعة الحرف الشمسي الذي يليه ، وحرف «س» إلى حرف متجانس معه؟ كذلك حرف نون إلى «ل» م ، «و» ، «ي»؟ فكل هذه نتائج لهذه النزعة .

ان الاسماء المركبة واكثر الافعال الرباعية حصلت في الغالب من هذه النزعة ، مثال ذلك : هل رأيت ، أن يقتل بادغام النون بالياء ، عما بادغام النون والميم ، حتى أن ساجف من سلّ ولحف . الخ ،
فعلامة الجزم تفيد اذاً كما تعني كليتها الاستجمام أو تحديد
الفعالية .. الخ .

الشدة

تعريفها : هي العبارة الكمية عن الحالة :

(EXpression quantitative de la qualité)

وهي تفيد أن حرفاً مزدوجاً ينقسم إلى جزء ساكن مدغم مع الحرف المتقدم له وملزم بحركته ، وإذا صرفنا النظر عن الشدة الحاصلة عن ضرورة صوتية خاصة بينان اللسان الشكلي ، فهي تعبر دائماً عن الشدة المنطوية على «الكَمِّ» أو بالأحرى بيان الكَمِّ نَسَانِيًا ، فتتجول الصورة الصوتية الثنائية المقتبسة من الطبيعة إلى فعل بادخال الشدة إليها ، مثال ذلك : زَمَّ ، صَرَّ ، فَقَّ ، شَمَّ ، .. الخ . وصيغة فعل تفيد الكثرة في طبيعة الفاعل او المنعول : طوفَ ، كَسَّرَ . وتدخل في صفات المبالغة مثل كذَّاب فتفيد المبالغة .

البيان في الكلمة العربية

ليست الكلمة العربية بيانية باجزائها (حروفها ، حركاتها ، علاماتها) فتسب ، بل انها وحدة تتفاعل فيها هذه الأجزاء ، تعبيراً عن المعنى الذي اختارها مدناً له ، وان بيانها لبيدو بنسبة ما ينطوي مدادها على فضحه

تجاوب اجزائها، أي ان الكلمات ذات المقاطع العديدة هي اكثر بياناً من الكلمات البسيطة ذات المقاطع القليلة . وقد اوضحنا في مبحث المشتقات الفعلية علاقة الصورة بالمعنى ، وبيننا أيضاً في الفصل الاول كيفية اقتباس الصور الصوتية « وهي مادة اللسان » من الطبيعة وكيفية صنع الكلمات من هذه الصور ، وذلك عندما ينزع المعنى إلى التوضيح فالتفرع بتعدّل ببيان الكلمة إما بتبديل أحد حروفها ، وإما باضافة حرف عليها ، وذلك حسبما يقتضيه مداد المعنى المتفرع . ونحن نورد هنا بعض الكلمات المبتدعة بياناً لقابلية الذهن العربي الفنية :
درْدَيْس ، شَرَّعَبَة ، شَرْنَبِي ، زَمَجَر ، الشَّعْشَعَان ، عَنَجَر ،
عَنْدَائِب ، الهَزْرُوف ، الهَزْرَبَان ، فَرَطِيخ . خَرَطَبِيل .

البيان في القواعد

بالجمع تبرز خصائص المفرد، فيجمع المذكر السالم بتحول التنوين إلى «ون» بالرفع ، وإلى «ي ن» بالجر : مؤمن^ن ، مؤمنون ، مؤمنين . وفي المؤنث السالم تتحول التاء المربوطة إلى تاء طويلة ، ويتبع هذا التبديل تعديل^ن مجرّكة الفتح المناسبة للحرف . والتقدم على التاء إلى «الف فتصير « المؤمنة مثلاً : مؤمنات .

وفي صيغة المجهول ، تُنقل حركة الفعل إلى الحرف الاول من
الفعل بياناً لتحمله فعل الفاعل ، وبكسر الحرف الثاني « علامة النسبة »
في الماضي ، وأما في المضارع فتمتحن هذه الحركة دلالة على عدم
استكمال فعل الفاعل .

وفي التصغير يضم أيضاً الحرف الاول بياناً للفعالية . ويلزم الحرف
الثاني النتحن مع ياء اضافية؛ فيتولد في الذهن خيال القسر او التقاعس عما
بدأ به : نهر نهير ، كلب : كلينب .

وأما في النسبة فان الياء الملحقه بالاسم هي علامتها الطبيعة : دمشق
دمشقي ، علم علمي ، عقل ، عقلي النخ .

يتبين من الامثلة المتقدمة أن الكلمة العربية مؤلفة من صورة بما
تتضمن هذه من صيرورة « تحولاتها الاحساسات الصوتية » ، ومن
وضع « قوام تألف هذه الاحساسات » ؛ وان هذه الصورة هي سمة المعنى
الملقاة على المكان ، فتشرف عنه اجزائها وبمنظوماتها ، وهي تساعد
باتجاهات نموها على دعوة المعنى إلى التحقق فالازدهار . فتصبح بذلك
الكلمة العربية ، ذات نزعة fonctionnel et odynamique ، مثلها كمثل
الخلية ، فكما أن هذه تنطوي على الحياة وتعتبر باتجاه منحنيات نموها ،
عن وجهة نظر الكائن الحي في الوجود ، وثبت هذه النظرة فيها كي

تستدعى إليها النسغ فيجري في هذه المنحنيات . إن منظومة اللسان العربي الناتجة عن تلازم وانسجام في : الكلام والنحو والنغم : (Vocabulaire ; syntax ; phonème) تكون سطوحاً منحدره تتجلى بها فكرة الأمة ، تتوفر هذه السطوح على الأجيال جهود الاجداد المنصرفة في انشائها ، وتقيم المحاولات الفاشلة ، بحيث أن الفرد يستأنف عمل بناء شخصيته من هذا التراث مضيفاً إليه «مبدعاته» ، فرتقياً ابدأ نحو غايته ، وان هذا الطابع ، طابع الخلود (أي الانبثاق والنمو ، انبثاق المظاهر عن مبدأ الحياة ، وتلازم هذه المظاهر وانسجامها) ، يبدو على العقلية العربية وعلى كافة المؤسسات التي تتبلر فيها هذه العقلية . فنفس العربي تتأجج حينئذ وتذكو ، بتوافق الميول التي تنطوي عليها مع هذه المؤسسات المعبرة عنها . وما اللسان العربي من الأمة التي أنشأته إلا بمثابة الانسجة من الكائن الحي يشف منه المعنى بجملته وبأجزائه ، فيبعث في نفس العربي بفيض تنتهي به الحياة بتحقيق غايتها : البطولة .

بينما تكون الكلمة في الامة المشتقة دلالية ، واصطلاحية ، يلتصق بها المعنى عرضاً مثلما تلجأ الروح المتشرده إلى الجثة ، فقتوحش منها واللغة المشتقة بمثابة بدن استبدلت فيه الاعضاء المعطوبة باوائل مقتبسة عن العالم الخارجي ، فهو وان ظلت الحياة بجملتها (الاسلوب) فهي تنحسر

واليريل المقابلة لهذه الاعضاء تضرر ، فتخس ربائبها ، ويخضع تفكيرهم
الى التداعي ، وتتحكم فيهم المسحة الركونية : *état statique* .

الفعل الثلاثي بالنسبة الى حركة ثاني حروف منه

إن الصورة الذهنية وحدة حيوية ذات مظاهر متفاعلة في هذه
الوحدة فيبدو هذا التفاعل على شكل الصورة الصوتية التي تعبر عن
هذه الصورة الذهنية .

ولما كانت حركة الحرف الاول من الفعل الثلاثي تابعة في المضارع
للضمير وفقاً للقواعد الصوتية العامة (وزعة اللسان العربي إلى
الاختصار باستخدام الجزم) ، وفي الماضي ذات علاقة بسلسلة الحوادث
تحددت حركة هذا الحرف (أي الحرف الاول) بالماضي على الفتح
وبالمضارع على السكون . ولما كان الحرف الاخير أيضاً يخضع للاعراب
المعبر عن وظيفة الكلمة أو عملها في الجملة ، فان حركة الحرف الثاني فقط
تعبر عن علاقة الفعل : إما بالفاعل (*Sujet*) أو غرض الفعل (*Objet*)
على درجات متفاوتة ، مما أدى إلى تحديد الصيغ في اللسان العربي بست
فتح فتح . فتح كسر . فتح ضم ، كسر فتح ، كسر كسر ، ضم ضم .
١ - عندما تتجه الفعالة نحو المكان فالر كود ، يتحرك ثاني حروف
من الماضي على الفتح : فاذا بدت علاقة الفعل بالهدف اكتسب هذا

الفعل شكلاً متعدياً مثل . قتل ، ضرب ، كتب . وإذا اختلف الغرض صار لازماً مثل ذهب رجع .

ولما كان المضارع بفعاليته موقفاً الاستعدادات الكامنة في الفعل فقد بدت هذه الاستعدادات إما بتجاوبها مع الغرض (objet) ، أو كانت أكثر وضوحاً بملاققتها مع الفاعل أو المسند إليه (sujet) . فيعبر عن هذه الفعالية في المضارع بضم ثاني حرف منه : مثل : قتل يقتل ، طعن : يطعن . وإذا كان اتجاه الفعالية نحو الفاعل كسر ثاني حرف من الفعل المضارع مثل : ضرب يضرب ، وجلس : يجلس .

وإذا لم تبد هذه الاستعدادات ، الموقفة بفعالية المضارع ، في الصورة الذهنية ، اتجاهاً . نحو الفاعل ولا نحو المفعول . فتظل حينئذ حركة ثاني حرف منحركة على الفتح عبارة عن اندراجها في المكان . مثل : ذهب : يذهب ، فرغ ، يفرغ ، ركن : يركن .

وقد يتضمن الفعل معاني مختلفة فتبدو حينئذ هذه المعاني على حركات ثاني حرف المضارع مختلفة وملائمة لطبيعة هذه المعاني مثل : صمت : يصمت أو بصمت . ركز : يركز : سلخ : يسلخ أو يسلخ أو يسلخ . نجب : ينجب . أو ينجب رجع : يرجع أو يرجع . نبع ... النخ .

يشذ عن هذه القاعدة ، الافعال في المثال الواوي والأجوف اليائي
والناقص اليائي ، بتأثير القواعد والقوانين الصوتية لسان : وعدّ : يعد
خارّ : يخير ونور ... الخ .

لقد ادعى بعض النحويين تأثير طبيعة الحرف ، وخصوصاً الحروف
الحلقية ، على نوع الحركة ، مع ان الأصح هو تطور معنى الفعل خلال
المراحل التاريخية ، واستقلال شكل الفعل وانتقاله بالتقليد على صورته
القديمة الأولى .

٢ - يجرّك ثاني حرف في الماضي على الكسر اذا رجعت الفعالية
الى الفاعل ، أو نسبت حالة الفعل اليه . مثل : فرح ، حزن ، مرض
وأما في المضارع فاما أن تبقى هذه الفعالية باتجاه الفاعل فيجرك حينئذ
ثاني حرف من الفعل على الكسر : حسب يحسب ، نعم : ينعم . أو أنه
يستقل عن هذا المنحى فيجرك على الفتح : فرح : يفرح مرض يمرض
٣ - اذا رسخت الحالة أو استقرت الفعالية بذات الفاعل يعبر عنها
حينئذ ، بتحريك ثاني حرف من الفعل الماضي والمضارع بالضم : كرم
يكرم نجب ينجب ،

ملاحظة :

يبدو أن تبويب النحو وتسمية هذه الأبواب قد حصل بتأثير من

الدَّخِيل (أي غير العربي) وخاصة نتيجة تطبيق قواعده الذهنية على
الصرف والنحو العربي. ومن سوء الحظ فقد جرى العرب على هذه
القواعد الموضوعية. ومن تلك القواعد تقسيم الأفعال إلى متمدٍ ولازم
بينما كان ينبغي تعيين أسماء الصغ الفعلية بالنسبة إلى علاقة الفعل والمفعول
كما بينا سابقاً.

بعض الامثلة العائدة إلى بيان الحركات : خَرَقَ : يَخْرُقُ (ثَقَبَ)
خَرَقًا فهو مَخْرُوقٌ. وَخَرِقَ : يَخْرِقُ خَرِقًا (دِهَشَ مِنْ حَيْاءٍ أَوْ
خَوْفٍ) فهو خَرِيقٌ، خَرِيقَةٌ. خَرِقَ : يَخْرِقُ فهو أَخْرِقٌ (بمعنى
أحمق) الخَرِيقُ (الثقب)، والخَرِيقُ (السخاء)، والخَرِيقُ (ضعف
الرأي).

عَلِمَ : يَعْلَمُ عَالِمًا (وَسَمَ). العَلَمُ والعالم : هي الحالات الملقاة
على الكون. وَعِلْمٌ : يَعْلَمُ عَالِمًا (شعر به وأدركه) أي أن العلم حالة
ادراك عرضية وليست ثابتة مستقرة.

خَرَعَ : يَخْرَعُ «شَقَّ»، وَخَرَعَ : يَخْرَعُ بِمَعْنَى «خَارَ» وَخَرُوعٌ :
لأن مفاصله واستدقَّ.

خَلَقَ : يَخْلُقُ «أَوْجَدَ» الخَلْقُ «الايجاد». وَخَلِيقٌ : مَلَسَ

ولان . ومنه الخِلقة . وخلق : يخلق خلقه وخلقاً (صار ذا بُنية)
(Caractère) .

شرف : يشرف (غلبه في الشرف) وشرف : (ارتفع) ،
وشرف : (صار ذا شرف) .

تشكيل الافعال الرباعية :

لقد يدبنا في الفصل الأول أن كافة الكلمات العربية ترجع إلى أصوات
مقتبسة ، أما عن الطبيعة الخارجية كخَرَّ ، وخَرَب ، وخرق ، وزمَّ
وزمَّ مر وزمك .. الخ . وأما عن أصوات بيانية تمير بها الطبيعة الانسانية
عن مشاعرها كوعَّ ووعي ، وانَّ ، وقدَّ وأخَّ ... الخ .

وسواء أكانت الصور الصوتية ترجع إلى التقليد عن الطبيعة الخارجية
أم إلى البيان عن مشاعر الطبيعة الانسانية ، فهي تتحول في اللسان
العربي إلى الفعلية : إما بتكرار المقطع الأول . أو بتشديد ثاني حرف
من المقطع بياناً للاستمرار فيها . وبذلك ترجع كافة الأفعال العربية
بالأصل إلى أفعال ثنائية البنيان . فالثنائية المتكررة أصل في الأفعال
الرباعية مثل بأبأ ، ترتر ، نغمم ، وسوس ، غرغر ... الخ . والثنائية
المشددة أصل في الأفعال الثلاثية : خرَّ ، زمَّ ، قرَّ ، قطَّ .. الخ .

ولما كان اللسان العربي حيويًا (نسبة إلى الحياة) وبيانيًا أي أن الصورة الذهنية فيه تُجملُ الفكرة بكافة عناصرها، فالصورة الصوتية المعبرة عن هذه الصورة الذهنية تحتوي على اجزائها متداخلةً، مما أدى إلى تداخل الأفعال المتقاربة في المعنى وفي الصوت فتتشكل عن هذا التداخل أفعال رباعية. مثل: دَحْرَجَ، من دَحَرَ، ودرَجَ، وزحلفَ من زحل وزحفَ.

كذلك يستقطب الذهن العربي بعض الحروف الدالة على أسس تركيب الجملة فيدخل إليها الفعلية ويكون منها أيضًا أفعالاً رباعية مثل: بسملَ: من بسم الله. وحمدلَ: من الحمد لله، وحوقلَ: من لاحول ولا قوة إلا بالله.

ولما كان المداد قوام الفعلية فإن ادخاله على الاسم يحوله إلى فعل فيتشكل من ذلك بعض الأفعال الرباعية مثل: قَطَرَنَ: من قَطِرَان. وقد يشكل الذهن العربي أيضًا أفعالاً رباعية بإبدال أحد الحروف الإضافية إلى الأفعال المشتقة، فيحولها إلى رباعية. فن أراقَ: هراقَ. ومن أثارَ هثارَ، ومن آتَ. هات... الخ.

وأما المشتقات الرباعية فهي: تفعللَ، وإفعلللَ، وافعلللَ. فالصيغة الأولى حصلت بإضافة حرف (تاء) وهنا تفيد التاء معنى

لذاته أو بذاته (de soi) . فن دحرج . تدحرج . ومن سلطن . تسلطن
ومن جلبب . تجلبب . ومن عفرت . تعفرت .

وأما الصيغة الثانية فقد حصلت من ادماج حرف (نون) بين ثاني
وثالث حرف من الفعل (وهنا أيضاً تدل على العفوية) مثال . ابرنشق ،
احرنجم ، اصلنطح ، اتعنجر .

والصيغة الثالثة تحصل بتشديد الحرف الأخير وهنا تفيد (الشدة)
أيضاً الدخول في الحالة والتثبت عليها مثل . إدلهم ، اشمخر ، اضمحل
ويبدو في الامثلة المتقدمة ، البيان المشترك للحروف المضافة (التاء)
و (النون) و (الشدة) مع المشتقات الثلاثية (أو تبدو وحدة البيان في
هذه الحروف بين المشتقات الثلاثية والرباعية) .

لقد اوضحنا في الفصل الاول نشأة الافعال الثلاثية من صور صوتية
ثنائية وذلك من رعة المعنى الى التوضيح والتحقق باختبار الحرف الابلغ
بيانا في التعبير عن المعنى المتفرع وها أننا نبسط الآن المشتقات الحاصلة
عن الفعل الثلاثي وهي :

(١) فعل (٢) فعل (٣) فاعل . (٤) أفعال . (٥) تفعل . (٦) تفاعل
(٧) انفعال . (٨) افتعل . (٩) افعال . (١٠) استفعال . (١١) افعال (١٢)
إفعل (١٣) إفعل (١٤) إفعل (١٥) افعل .

لقد بينا أن الماضي مبني مبدئياً ، على الفتح (عبارة الركون أو فقدان
الفعالية ، والمضارع يعرب بضم آخره (عبارة الفعالية المتراصلة) ، وأما
الأمر ، وهو من المضارع ، فإنه يبني على الجزم تحديداً لهذه الفعالية .
على أن المنهاج الذي يسير عليه اللسان العربي في نموه بالخاق الحروف
أو دمجها في صلب الكلمة ، معبراً بذلك عن المعنى المتفرع في الصورة
الذهنية ، يبدو ، في الاشتقاقات الفعلية ، وأكثر وضوحاً واضطراباً ،
بحيث أن التحول في الخيال الذهني يظهر ، ما يقابله وفقاً للذوق العربي
في اختياره الحروف الأقرب بياناً عن هذا الخيال .

ولما كانت طبيعة كل فعل ، بالنظر للمعنى الذي تنطوي عليه الكلمة
تحتل النمو في اتجاهات مختلفة ، فإنه يبدو وتفرع معناها متجلبياً بصورة متممة
للمعنى الأساسي المتعلق بالقاعدة العامة . وهناتجلى ، في مدى قابلية
الأفعال الاشتقاقية المختلفة ، اتجاهات ثقافة الأمة بالنظر الى وجهة نظرها
وضمن المرحلة التي تمتاز حضارتها . (١) فعل . بتضعيف ثاني حرف (الشدة
تعبيراً عن الكثرة وما يقابلها من تحول في طبيعة معنى الفعل ، وحسب
اتجاهات نموه الخاص .

١ - عن تعدد المفعول ، كسر ، فرق ، قطع ،

ب - عن مضاعفة فاعلية الفعل : طوَّف ، حوَّل ، بكى ، فرح حمل
(تبدو الحالة في هذه الامثلة بتجاوب مع الكم)

ج - وأما اذا كانت الحالة ملازمة للفاعل فانَّ (الشدَّة) تعبر
حينئذ عن اتجاه استادي : كذَّب صدق .

د - واذا كانت فعالية الفعل ضئيلة في المعنى الذي ينطوي عليه ،
فان (الشدة) تعبر حينئذ عن فعالية اضافية مثل : خَم ، قدس ،
دخم جلد .

ه - الفعالية المضافة تتحول الى حركة (شرق ، غرب ، وجه) الضخ .

ملاحظة :

ان الفرق بين (فـل) و (أفل) هو أن (أفعل) يفيد ، حسب
بيان الصورة الصوتية ، الدخول في حالة الفعل ، مع أن صيغة (فعَّل)
تفيد الرسوخ او النمو الحاصل على التفاعل في بنيان الصورة .

٢ - فاعل : تحصل هذه الصيغة من تحويل حركة ثاني حرف
(الفتحة) الى (مدة) متجانسة « أي ألف » . ونظراً لاشتراك هذا
الحرف في صيغة الفاعل الثلاثي وفي التنثية أيضاً فهي تعبر عن الجهد
وما ينطوي عليه هذا الجهد من مقابلة وتعدٍ على المقابل ، أي التغلب

على المقاومة . كذلك تبدو في هذه الصيغة بعض الاتجاهات الكامنة في طبيعة معنى الفعل الثلاثي .

أ - معنى المقابلة والمناومة : قاتل ، صارع ، شاعر ، شارف .. الخ

ب - قد يكون الجهد ، المعبر عنه ، بنقل الفعل اللازم الى متعد :
قاول راسل ، جالس ، واقع .. الخ .

ج - وقد تعبر هذه (المدّة) عن نقل حالة الفعل الى المفعول : لاين خاشن ، ناعم .. الخ .

د - وتعبر أيضاً عن المسافة أو الجهد المطلوب للتغلب على هذه المسافة : سافر .

٣ - أفعال : - وهذه الصيغة تحصل باضافة (همزة) معبرة عن الدخول في الفعلية أو ادخالها على طبيعة الفعل :

أ - تعني الانتقال من حالة (زبيّة) عفوية ، الى فعالية بارزة أكثر ظهوراً مثل : أزهر ، أورق ، أثمر ، أسرع ، أفصح أبطأ ، (في الشؤون الانسانية تنميد اذن دخول الارادة في الفعل) .

ب - تفيد نقل الفعلية الى فاعل الفعل الاصلي : أعلم ، أخبر ، آكل

ج - تفيد معنى اسنادياً فيما اذا كانت الحالة ملازمة للفاعل : أنجل
أخذ ، أجبين .

د - تفيد أن الفعالية المضافة الى الحركة في اتجاه معنى الفعل : أقبل
أدبر ، أشتى ، أصبح . كأنني بهذه الفعالية تستهدف غاية الفعل ، و(الهزة)
تعبّر عن الجهد اللازم للوصول الى هذا الهدف : أسبع ، أفقر ، أجذب
٤ - تفعلّ : وذلك بالحاق حرف (التاء) الى (فعّل) ولما كان هذا
الحرف بمثابة « تاء » الضمير المعبرة عن معنى ذاتي تقوم في هذه الصيغة
بمقام الغرض (obget) وهي تقابل تقريباً الأفعال المنعكسة (Reflexes)
في بعض اللغات الأوروبية . ولما كانت الكلمة العربية بطبيعتها «حيانية»
فإنه يحدث بين أجزائها تجاوب يفضي الى معنى خاص وإضافي على
على القاعدة الأساسية ، والتحوّل الحاصل من هذا التجاوب في الحدس
ملازم للصورة الصوتية المعبرة عنه .

كذلك تفيد هذه العلاوات في بعض الأفعال :

أ - الجهد الذاتي في طبيعة الفعل : تتبّع ، تطلّب .

ب - الرسوخ في الحالة : تحقّق ، تبين ، تيقن ، تبصر (كأن
«الشدّة» تعبّر عن جهد متراكم) ،

ج - تفيد في الافعال اللازمة ، التصنع والتكلف : تبصّر ، تشجّع
تكلف . الخ

د - الجهد اللازم للانتقال إلى حالة الفعل تأسّد ، تسبّع :

تفاعل بإضافة حرف (التاء) إلى «فاعل» وهنا كذلك يحصل تفاعل بين
اجزاء الصورة الذهنية وتبدو من هذا التفاعل معانٍ إضافية على المعنى الاصيلي
أ - تفيده معنى التعادل والمقابلة الذاتية مثل تنازع ، تجاذب ، تقابل
ب - وتفيد أيضاً المسافة التي تفصل الفاعل عن الغاية ، وزرعته من

ذاته ، الى هذه الغاية ترامي ، وتلاشي

ج - وتفيد أيضاً التكلف والجهد المنطوي عليه هذا التكلف مثل
تعارض تماوت ، تغافل تجاهل

د - وتفيد أيضاً الجهد المطلوب للوصول الى الغاية : تعالى ، تسامى

هـ - وتفيد فاعلاً مشتركاً (anonyme) تداعي «تسامع به الناس» .

إتعمل بإضافة «نون» إلى «أفعل» وهي «أي هذه الصيغة» تفيد
أيضاً التعبير عن معنى ذاتي والفرق بينها وبين «التاء في «تفعل» مثلاً
هو أن «النون» تعبر عن المسند إليه (Suget) بينما «التاء» تكون اقبل
إلى المسند (obget) ولذلك فإن الأولى تتضمن معنى «زئناً» أي عفويّاً
والثانية معنى «المطاوعة» إنكسر وتكسر ، إنشق واشقق انقطع
وتقطع ، الخ وفي الاصل فإن حرف «النون» حرف بياني ، اشتقت منه
الضمائر أنا ، نحن ومنه أيضاً ضمير المخاطب . أنت ،

ولما كان الطابع الاساسي في اللسان العربي حيويّاً كثرت فيه الصيغ

والاشتقاقات المعبرة عن النزوة، وهي في الثلاثي المضموم الحرف الثاني،
وفي بعض معاني « افعل » كأورقَ وكذلك في « انفعل »

وجهل هذه الميزة الأصيلة في اللغة العربية. حمل البعض على استخراج
صيغة (إنفعل) من الافعال التي تتضمن معنى (النزوة) مثل حمقَ أنحمق
هوى وانهوى .

كذلك ، جهلاً بالفرق بين معنى « التاء » والنون « الملحقين
بالافعال ، وقع بعضهم في الالتباس بين اصطلاح ، وانصلح ، ومن نفس
الخطيئة أيضاً صار استعمال هذه الصيغة « صيغة انفعل » بدلاً من المجهول
مثل « إنامس » بدلاً من « لأمس » و « إنغلق » بدلاً من « غلق » .

إنفعل : باضافة « همزة » و « تاء » مندحجة في « الفعل » وهي أي هذه
الصيغة « تفيد الدخول في فعالية مستهدفة الغاية . مثلاً : التمس ، وافترى
واحتطب ، النخ أو ذات الفاعل : افترق وإعترض واضطرب .

وهي تفيد ايضاً التبادل في الهدف أحياناً : « اقتتل » الناس واختتم
النخ أو تفيد النزعة إلى الغاية : مثل « اقتضى » . وإذا كان الفعل « نزيهاً »
فإنها تفيد حينئذ عودة الغاية إلى ذات الفاعل ك « امتلأ » و « ارتدع » .

إفعل - بتشديد الحرف الأخير ، وهي تفيد الاستمرار على الحالة :

احمرّ ، ابيضّ ، اسودّ الخ .. « كما تدل هذه الشدة في الفعل الثنائي المشدّد
حرفه الاخير ، الاستمرار على الحالة « ثرّ » تصبح « ثرّ » .

افعالٌ - بتحويل (الفتحة الى « الالف » دلالة على الجهد المطلوب
للوصول الى الغايه :

اصفرّ واصفّرّ ، ابيضّ وايبّاض ، اعوجّ واعوّاج ، ازورّ
وازوارّ ... الخ .

استفعل باضافة « السين » « والتاء » . فالحرف الأوّل يفيد الحركة
او الطلب . وهنا أيضاً يتفرع المعنى بحسب طبيعة الفعل وحرف « التاء »
يفيد ما قد ذكرنا في المشتقات السابقة .

أ - استغفرّ ، استأذّن « طلب الغفران والاذن » . استسقى
واستغاث .. الخ

ب - يفيد مدى النزعة الى الحالة والدخول فيها . مثل استوحش
واستسلم ، واستناب ، واستحجر ، واستغرب .

ج - تفيد الميل الى حالة الفعل . استحسن ، واستحل ، واستخف .

د - تفيد الانتقال الى حالة الفعل : استنسر ، استنمر وأستأسد

هـ - تفيد تشييت الغاية بذات الفاعل : استوزرّ :

يتبين مما تقدم أنّ الصورة الذهنية « أو الحدس » تتضمن الفعل

والمفعول ويبدو هذا التضامن والتفاعل في الصورة الصوتية التي تجمل
هذه الحالة

افعوعل : بتكرار ثاني حرف من الفعل الثلاثي منفصلاً بحرف
«الواو» المجزومة

وهي « أي هذه الصيغة » تفيد النموّ متموجاً في طبيعة الفعل مثال
ذلك احدوب ، اخضوضر ، اخشوشن ، اهلوك اهلوك الخ
افعوعل بدمج «واو» مشددة في صلب الكلمة وهي تفيد الدخول
في حالة الفعل ، والتثبت فيها بصورة متواصلة : إخروط ، إجلوذاً ،
اعلوط

إفعلنل : بدمج «نون» في صلب الكلمة وهي بمعنى ، كما تقدم ، من
ذاته | de soi meme | ، وبتكرار الحرف الأخير من الفعل أي اللام
وذلك يعني أيضاً التدرج في الدخول بالحالة : اجحنششش ، إصلنكك
إفعلنسَس .

إفعلنل : بدمج «نون» وإلحاق «ياء» وهذا الحرف الأخير يعني
« النسبة » أي الانتساب « من ذاته » إلى الحالة والدخول فيها :
مثال : إعلندي ، وإجنطى

الفصل الثالث

الكلمة العربية في أسرتها

لأن كانت الصورة الحسية : « صوتية - مرئية ، صوتية - مدادية »
مبدأ اشتقاق الكلمات في اللسان العربي ، فهي مصدر انبعاث
المعنى أيضاً .

فالكلمة من المعنى الذي أنشأها ، كالبدن ، من النفس ، أو كالخيال
من صورته ، تحمل طابعه وتكشف عنه وإذا كانت النفس تتضح
بتجاوب تجلياتها مع نموّ بدنها ، فالمعنى أيضاً ، يتضح باشتقاق الصورة
الحسية الى كلمات بليغة ومتلازمة :

فتلازمها يكشف عن حدس الامة : فيحوّل ، في نفس الفرد الى
بصيرة في ببيان الوجود : وبلاغتها : تعين قابليتها الفنية فالكلمة العربية
هي اذن ، في أسرتها ، كاللحن في الأنشودة
وإذا كانت ايمول تبتدر ، عن الغاية التي انعقدت عليها الحياة في

الفرد ، ملازمةً لنمو البدن فتعين بها الحاجاتُ المحييةُ عليها ، فالمعنى أيضاً : يعين للنفس الصورَ المحققةَ له ، يحددُ بذلك اتجاه اشتقاقاتها ، ولكن الصورَ لا تستنفدُ المعنى ، والنفس مرتبطةٌ ، بتلك الميول ، بيدنها عدةٌ عملها في الوجود .

لذلك ، فإن هذه الحاجات تضيفُ وحداتٍ ادراكيةً مصطلحةً أي أشياء « من شاء » الى الوحدات الفنية « حيائية ، » « الكلمات الحية » انسانية ، « الحدس » وهذه الأشياء المضافة تُعرفل ، على النفس التجاوب بين تجلياتها الزاهية ومصدر اشعاعها لان تداخل امددة (جمع مداد) هذه الأشياء المصطلحة مع امددة تجليات الوجود الاصيله ، بسبب التداعي بالانصال : [association per contiguite] فيلتبسُ المصطلحُ بالبدني ، وتتحكمُ العادةُ في النفس ، ويتيه الخيالُ عن الحقيقة ،

الا أن الأمة العربية ، التي اختارتُ بنيتها وفقاً لغايتها من الوجود قد اصطفت هذه الصور الصوتية - المرئية - ، مستندةً على تعادل مدادها ، لتحقيق بها هذه البنية (وبذلك تتضح حكمة أن الأسماء تنزل من السماء) فحددتُ بذلك من شطط الخيال الشخصي كما جهزت بدنَ الفرد بالفرائز فعيّنت له تعادل حاجاته ، وانشأتُ كذلك كافة مؤسساتها

(الأخلاق ، اللغة . الفن) على ضوء هذه البنية ، تحقيقاً لها ، وبالانسجام مع تلك الغرائز

وإذا كان عالم المستجاثات [Paléontologistè] يبعث ، بخياله الفني ، في أجزاء الهيكل العظمي ، المبعثرة في جوف الأرض ، بالوحدة الحياتية التي أنشأتها ، فالعربي ، أيضاً ، بدراسة لسانه ، الذي تتلخص فيه كافة تجليات أمته ، دراسةً توليديةً (génétique) وباتمام ذلك ، يبعثه الموجات التاريخية التي تحققت فيها هذه التجلياتُ بسيطرة الأمة على القدر ، تنكشف له ماهية أمته ، فيرتقي بهذا الكشف ، من الناسوت الى اللاهوت .

ذكاء

Intelligence

إن كلمة « ذكاء » مشتقة من « ذكا » وهي صورة صوتية - مدادية تنطوي مع أخواتها : « صك » ، « ضك » ، « دك » .. على اتجاه يتضمن معنى الاحتكاك « الدلك » بحسب بيان الحرف (ك) والكلمات المعبرة عن بعض تجليات الحدس الحسية هي : « ذكت » النار : اشتد لهيبها « ذكى » النار : أوقدها ، « الذكوة » : ما يلقي على النار فتذكي به ، « الذكاء » : الجمر المشتعلة ، « ذكاء » إيم علم للشمس ،

(وتنيد هذه الصورُ الشدَّةَ والإشْتعالَ) : المُذْكَى « من السحاب :
غزير المطر ، « ذكى » الرجل : تقدَّم في العمر وبردن ، « المُذْكَى »
من الخيل : ماتمَّ سنَّه وكملت قوَّته . (وهذه الصور نفيد الشخوذة
باستكمال شروط النمو) ، « الذكاء » : سرعة الفهم وحدته .

يُستخلص من هذه الصور الحسية والمفومات الذهنية ، المعبرة
عن اتجاهات هذا المصدر ، انَّ الحدس العربي هو أن الحقيقة تسطع ،
بتباين الأفكار ، كما يحصل النور باحتكاك الأجسام . فكأن الذهن العربي
قد أدرك حدساً ، الشبه بين تحولات الوجدان من الإبهام قبيل اليقظة
الى الوضوح فالتأجج ؛ عند استكمال شروط هذه اليقظة ، وبين الشمس
الساطع نورها والحاصلة من تكاثف السديم وتبلره : فعبر عن « الذكاء »
(النور المنبثق عن استجمام النفس) بكلمة « ذكاء » صورته المحسوسة ،
فلخص بذلك عقيدة الأقدمين المشيرة إلى أن الشمس رمزٌ للاله ، كما
لخص أيضاً الفلاسفة اليونانية الحديثة التي تعتبر الذكاء معنى الوجود .

وإذا كانت الموجردات تصبو إلى الشمس ، مصدر انبثاقها فالحالات
النفسانية ، أيضاً ، تصبو الى الذكاء ، النور المنبثق عنها ، وعلى شفق
هذا النور ، تصطفي النفس الحالات المختارة وتحققها ، فيتضح ، حينئذ ،
لفز الوجود : كن فيكون .

وليس عبثاً إذا اتجهت أنظار الانسان الى السماء ، حيث تفيض الشمس بنورها فتغمر به الكون ، إذ أنه أدرك ، بهذه الصورة ، قرارة نفسه ملقاةً (projétée) على الكون ، هذه القرارة التي ترتقي اليها النفس باستجمام تجلياتها ، فينكشف لها بنيانها ، حينئذ متجلياً بهذا النور المتكيف بالتسامي : وكل درجة ارتقاء تمنح صاحبها أفقاً متناسب المدى بالنفوذ .

ولئن كانت المعرفة الرحمانية ، مطلقاً تأثيرها في سلوكنا ، فالمعرفه الكونية تتحقق أيضاً بواسطة بنيان بدننا المجهز بمنظومات مدادية (Systèmes de Rythmes) متفاوتة التفرع ، ذات بنيان رحماني (Sympathique) أصيل .

فبذلك يكملُ الشبه بين « ذكاء » وبين صورته الحسية « ذكاء » التي تريد من امكانيتنا العملية .

« الإبهام » و« الغموض »

إن كلمتي « إبهام » و« غموض » بالتباين مع الذكاء ، تريدان حدسه إيضاحاً ، وتمهناً فهمه :

فكلمة « إبهام » مشتقة من (بهم) وهذه حاصلة من (بها) ، بابدال

الحرف (ألف) بالحرف (ميم) وهذا الحرف المستبدل : بحسب مخرجه ،
يفيدُ المحدوديةَ والإغلاق ، فيجُوزُ هذه الكلمة :

من (بهى) الإيجابية : «بها» ، «بهى» البيت : وسعه ؛ «أبهى» الاناء
فرغهُ ؛ «البهو» ، «البهاء» : الحسن ، بانجاه التفتح والازدهار (إلى
«بهم» السلبية : «أبهم» الباب : أغلقه ، «المبهم» : الحائض ليس فيه باب
«البهم» الأسود ، أو ما هو على لون واحد ؛ وليل «بهم» : لانور فيه ،
و«البهم» : صغار الحيوانات ، «والبهمّة» : الدابة ، .. و«الأبهم الأصمت
والاعجم «بهم» . اشتبه واستغلق) .

وكذلك كلمة «غموض» فانها مشتقة من «غمض» وهذه حاصلة من
«غم» بإضافة (ض) إليها و«غم» صورة بيانية تعبر عن المعنى الذي تنطوي
عليه أكل تعبير : «غمّة» غطاء ، أحزنه ، «غمي» عليه الأمر : خفي
واستهجم ، و«الغمّة» : الظلمة ، و«الغم» : الحزن .

ومن مشتقات «غمض» : «الغامض» المبهم والمغلق ، أو الخامل
والذليل ، و«الغموض» : العيب ، و«غوامض» الإبل : صفا .

يؤخذ من هذه الصور الحسية والمفاهيم العقليةمة ، أن الحالة
النفسانية التي تعرض عن المعنى ، تلتزم على نفسها (أو تغمض) وتفقد
نورها وتلونها (بهاءها) ، فتمسي في ظلمة وحزن .

لقد رمزت الحياة إلى هذه الحقيقة بينيان مدادها ، إذ حددت به عدانها النوعي (أي الوحدة الحياتية المتحققة ، بين الولادة والتوليد) باندرج بوادرها في الامتداد ، وبتجاوب واستجمام هذه البوادر بالمدة فالمداد ينطوي عليها ، وماالبدنُ (من بدا) إلا صورةُ (من صار) هذه الوحدة المتجلية في عالم الشهود .

فبالمداد تتفاوت الأنواع الحيوانية ، وبالنسبة إلى مداه تتعين مراتب تطورها ، وهو (أي هذا المداد) يكاد يكون مغلقاً في الأنواع الابتدائية إذ أن عدانها آني (*intsantane*) فتلتبس فيه (المدة) بالامتداد أو الزمان بالمكان ، ولا تكاد الحياة تتميز فيها عن المادة . بينمامدادا لحيوانات الراقية فسيح المدى ، تتجلى فيه مظاهر الحياة المتنوعة وبه تنسجم : فقد آثرت الحياة ، في هذه الأنواع طريق النمو فالتركيب ، حيث تشق سبيل السلامة ، عبر الزمان والمكان ، لتشف عن بهائها ، رغم كل ما يعترضها من أخطار ، على أن تظل بسيطة متناثرة ، معدومة في الانواع الابتدائية :

ففي الانسان ، يتعدى هذا العدان (٤٥) سنة مع أن شروط الانتاج الجنسي تكتمل بين [١٣ - ١٨] سنة من العمر : ذلك لان

قاعدة الحياة الانسانية ، في نفس الوقت تواصل نوهها إلى ما بعد حياته
الفردية - النوعية .

أفلا تكشف لنا الحياة الوجدانية أيضاً عن بنيان مماثل ؟ أليست
العبقرية فكرة تفتحها متواصل مطلقاً منذ ما تستيقظ على الوجود
تحقيقاً لما قد انعقدت عليه الحياة في صاحبها : فاللمحات ، المنبعثة عن
تجلياتها المتفتحة وفق طبيعتها ، تتحول بتساميها ، الى قبس تروى بنوره
الفوارق ، كما لو اشتد نور الأشعة المظلمة من النجوم وشقت به المسافات
الفاصلة بينها فبدت السماء ، حينئذ ، وحدةً نورانية .

فبهذا النور تنكشف للنفس بنيانها فيبدو هذا البنيان مثلما تبدو
الاشياء في القطب تحت شمس دائم ضياؤها .
وبهذا النور أيضاً تستيقظ الذكريات الضامرة ، فتتجاذب ؛ وتنشئ
النفس منها عاالمها (عالم : من علم ؛ وهذه من علا) وتلقيه على الكون
فالعلم ينشئ هيكلة من تلازم الموجودات الأصيل ، (المناسبات
الثابتة بين الحوادث أي القوانين) والفن يحقق مراتبه المتسامية بخيال
يصنعه من الصور الحسية .

وهذه المناسبات الثابتة ، تتحول بالصناعة ، إلى قواعد عملية ،

فيسيطر الانسان على القدر بالآلة التي يبنها عليها، أما في الفلسفة فإنه يرشف يرتشف من ينبوع هذا التجلي .

وإذا كانت العبقرية غايةً تصبو إليها الحياة، فالأفراد، بالرقى إليها مختلفون لما يتطلب هذا الرقي من همة وجهد : همة تحددها فسحة قطبي الوجود : الطبيعة وقرارة النفس وجهدٍ يستدعيه اختيار السبل التي ينشئ بها صورته ، في وجود تنزع كافة مظاهره الى تحقق مطلق ، ليستقطب بها (أي بهذه الصورة) المعنى فيرتقي ، بهذا الاستقطاب ، من «شخص» (قناع) الى «ذات» .

ففي العامي (من عمي عن تجليات الوجود أو طمست عليه النوارق تنقلص هذه الفسحة حتى ليستغرق المعنى في الصورة استغراقاً تاماً ، فتحكم الغرائز والعادات ، وتتناثر ، عندئذ ، الحياةُ الذهنية ويضمحل الوجدان . وإذا تخلل هذه الحياة الساجية (Monotone) بعضُ الأحلام المتقطعة ، فسرعان ما تسطو عليها المادة ، فيضيق عليها أفق العلم والعمل ولهبط العوام عن مستوى الحيوان لو لم ترفق العناية بهم فتنبغ العبقرية فيهم لتنسج لهم قواعد تفكيرهم وعملهم فيعوضون بهذه (الفوقية عن هيكلمهم (الصميم) .

فليس من العيب إذا أدرك العربي في الحيوان (البهم - الغوامض)

رمز الابهام والغموض ، مادام ، هذا لا تسمح له حياته المغلقة الغامضة
ان يدرك تجليات الوجود لذاتها ، فيتمتع بجمالها وبالخلود .

« اللذة » و « الألم »

Le plaisir et la souieure

إن كلمة «لذة» مشتقة من «لذّ» لذ الشيء : صار شهيياً فهو «لذيذ»
و «لذّ» الشيء : وجدّه لذيذاً .

فهذه الكلمة ، كما يبدو ، تفيد الحالة الحاصلة من الملائمة بين النزعة
وغايتها ، وهي ذات اتجاهين :

اتجاه النزعة ، ويبدو خاصة في معاني شقيقاتها : «لذّب» بالمكان :
أقام «الملازم» ، «لذّع» ، و «الذاع» ، وهذه النزعة تشتد ، في
الشكل الرباعي ، فتتحول الى حركة : «اللاذ» السريع الخفيف
في عمله .

واتجاه الغاية ، ويقتصر على : «الألذّ» : الأكثر لذة ، «الملذّ»
موضع اللذة .. وذلك بالنسبة الى النزعة ايضاً .

«فاللذة» ، في الحدس العربي ، اذن ، هي النزعة في الوجدان باتجاه
غايتها : فاذا تقدمت النزعة على غايتها فانها تبدو ، في الوجدان ، محددة

بصورة غايتها، حاملة هالتها (الشهية) ، واذا ما تحققت هذه الصورة
بالشيء ، تحورت الشهية حينئذ الى اللذة .

يكشف لنا ذلك ، عن الاتصال بين الملائ الأعلى وعالم الشهود ، من
جهة ، وعن تأثير البدن كعيار لتحقيق نزعاتنا ، من جهة اخرى . وسواء
أكانت الاشياء أو صداها في البدن ، فكلاهما يحدد محل اللذة ، ويميزها ،
بذلك عن المشاعر الايجابية الأخرى (ايجابية بمعنى منبعثة عن الحياة
وموجبة للعمل) .

وكلمة « ألم » المقابلة للذة تريدها ايضاحاً ، كما انها تتضح بها . وهي
حاصلة من « لم » بادخال (همزة اليها . تبياناً للفعالية المضافة .

وكلمة « لم » تعبر عن اتجاهات فريدة المعنى بحيث أنها تفيد
الإصلاح ، اذا كانت باتجاه الخارج : « لم » : أصلح ، « له » : جمعه
وشده ، بينما هي تفيد الوجدان اذا كانت من الخارج نحو الداخل : « ألم »
به : أوجعه ، فاذا ما حصل الألم من الصميم ، « أوم » فانها تعني ، حينئذ ،
تقلص النفس عن قطبي الوجود . و « اللثيم » : من هو دنيء : (تقلصت
دنياه) وشحیح النفس .

فاذا كانت « اللذة » تحصل عن تمتع الفعالية نحو الاشياء ، فان

« الألم » يحصل عن تقلص هذه العضلية ، بتأثير خارجي . سواء عن بنيان البدن أو البيئة .

ومع ذلك فإن موقع الشعور باللذة والألم يحدّد في كلتا الحالتين بالنظر إلى علاقة هذه العضلية بمحيطها وخاصة بالبدن .

فعندما يشتدّ التقلصُ يتحول « الألم » ، حينئذ ، الى « وجع » (Souffrance) إلا اذا تناول التقلص الخيالَ فقط فانه يصبح ، عندئذ « حصرًا » أو « ضيقًا » .

السعادة والتعس (التعاسة)

إذا كانت « اللذة » محددة بعلاقة النزعة بالشيء « فالسعادة » تشمل الحياة بجملة ما ويقابلها كلمة « التعس » (التعاسة) المشتقة من « تع » و « تمتع » (الصورة الصوتية البدائية) التي تفيد العجز عن الافصاح ومن شقيقاتها : تع استرخى « تعب » أعبأ وكل : « تمتع » في الكلام تردّد فيه (من عي) « تعس » : عثرَ وأكبَّ على وجهه (التعس) : الهلاك ، الشر ، الانحطاط . « فالتعاسة » ، إذن ، انما هي في انهيار الشخصية الحاصل عن عجزها عن استجمام ذاتها فتحققها .

بينما كلمة « السعادة » (سَمَى ، ساءد ، ساعى) تعني على العكس ،
تفتح الشخصية بكاملها (الميول التي يطوي عليها البدن ، والارتقاء
نحو قراراتها باستجمام تجلياتها : الأعمق فالأعمق) .

لذلك تبدو الحياة ، بنمو بدنها (في الصبا ، الصبوة والشباب)
نشيطةً (نشأ ، نشوة) ، وبتحرُّر معناها وتفتحها ، حتى ما بعد الشيخوخة
سعيدةً لما تتضمن هذه الكلمة من سعي وجهد .

وليس من العبث أن ادرك الذهن العربي علاقة السعادة بالشقاوة
(شق ، شقق) Peine لما للمقاومة التي قد تلقاها فعاليتنا ، عند تحققها
من تأثير على حياتنا ، فأردف كلمة « سعادة » بـ « مساعدة » و « الساعد »
وضمنها بذلك ضرورة التعاون الاجتماعي على تذليل الصعوبات والسيطرة
على القدر تحقيقاً لما تنطوي عليه نفوسنا فتسعد .

الفرح والحزن

La joie et La tristesse

عندما تتفتح الحياة ، بنموها في الفرد ، يبدو منها الفرح مشيراً
بتكيفه الى اتجاه تعاليها . فتتهافت الحالات النفسانية حينئذ ، بهذا
الاتجاه ، نحو غايتها ، وبهذا التهاافت يكتسب الفرد قوة وبهاء .

لذلك فقد اختار الذهن العربي كلمة « فر » ، « فر فر » (الصورة الصوتية الحاصلة عن طيران العصفور) مصدراً لاشتقاق كلمة « فرح » لما للحالة التي تعبر عنها من شبه مع ارتقاء العصفور في الآفاق العالية (العبارة العامة : « طار من فرحه ») :

كما أن هذا الذهن قد عبر عن الحالة المقابلة للفرح بكلمة « حزن » من « حز » قطع ، بحيث أن النفس تضمر فحصل فيها مانع عن العافية ، (قطع قلبى من الحزن) .

يؤخذ ، من جملة الكلمات المعبرة عن بعض الحالات المتعلقة بالشعور ، أن الحياة تنطوي على « المسرة » وانها ، في الاصل ، متفائلة إنما قد يعثرها ، في تحققها ، بعض المشاكل ، فتسبب لها الحالات المعاكسة على درجات متفاوتة .

فإذا مست هذه المشاكل صميم الحياة ، تعس صاحبها (الفرد) ، وإذا تناولت البدن حصل له وجع وألم ، وإذا حددت افق خياله صار ضيقاً وحسراً ، وإذا تعلق بالظروف المحققة لبنيته صار شقياً .. ولكن اذا استكملت الحياة شروط تحققها في الفرد ، باخضاع القدر لمشيئته ؛ تحولت « المسرة » الى سعادة و « فرح » .

يبدو من الامثلة المتقدمة أن الكلمة العربية تعبر عن العربي صانعها

إذا هو يتمتع بقيمة انسانية مطلقة تنكشف بها ، في نفسه غاية أمته من الوجود ، ويملك بالإضافة إليها قيمة نسبية تشترك في تعيينها أصلته التي تنطوي عليها بنيتها (الاصله التي تجلت بها هذه الغاية بالصفات الاصلية في أسرته . فهي تبين اذن قابليته لهذا التجلي) ووظيفة الاجتماعية التي حددت أيضاً مدى تحقق هذه الغاية لخدمة المجتمع .

كذلك الكلمة العربية فانها تنطوي على نظرة الامة العربية في الوجود (هذه النظرة التي يكشف عنها عندما تندمج هذه الكلمة مع منظومة معاني شقيقتها) وعلى قابلية خاصة للتعبير عن هذا المعنى ، يحددها في الجملة وظيفتها المعبر عنها باعرابها .

على ان العادة قد تستأثر بالكلمة أحياناً وتجمد لغتها الشعرية (والشعر بيان الشعور) فتلجأ النفس ، عندئذ ، تطميناً لنزعها الزنية الى زاوية جديدة بحيث تدرك المسمى من وجهة بديئة فتبدع كلمة تعبر بها عن احدى صناته الخصوصية (راجع البيان المرثي) .

ولما كانت الكلمة تضيق عن المعنى وهي تشير الى بعض اتجاهاته فقط فان الموجة التاريخية تحرف بعض هذه الاتجاهات التي تنطوي عليها الكلمة وتخرجها عن منظومة معاني اسرتها اذا ما عجز ممثلو هذه الموجة

عن ابداع الكلمات المعبرة عن المفهومات المستحدثة فيها وهذا الانحراف
فيها يكشف عن التحولات التاريخية المنعكسة عليها .

الفضيلة

La Vertu

فكلمة « فضيلة » مثلاً لانكشف عن تطور المجتمع العربي بانتقاله
من مرحلة انبثاقه (حيث تتجاوب النزعات التي تنطوي عليها النفوس
مع المؤسسات المعبرة عنها فتفيض هذه النفوس بهذا التجاوب ، خير أو جمالا
مثملاً لتحقق البنية وتردهر بتجاوبها مع البوادر (esipressins des èmotions)
التي ارتسم بها شكل قوجاتها) - الى مرحلة تقليدية حيث زاح المجتمع
عن حقيقته فحجبت عنها نفوس أبنائه وضمرت باختلاف هذه المؤسسات
عن نزعاتها - فحسب ، بل انها تكشف أيضاً عن تباين الآريين والساميين
فرعي العرق الابيض (ذي التاريخ) : الفرعين اللذين يمتلان قطبي
الثقافة الانسانية : الطبيعة والملا الأعلى :

فالساميون ، كما تشير اليه كنيته (سما ، يسمو ، سماء ، اسم . .)
وكما تنطوي عليه عقيدتهم ، هم بحق ، اولاد السماء ، اذ أن نفوسهم تصبو
اليها كمصدر انبثاقها عنه ، وكغاية ينتهون اليها وماهي (أي السماء) الا

الصورة التي انطوت عليها نفوسهم ، الصورة التي اذا ما افتتحت عليها النفس ، حققت فيها الملائكة الاعلى فنعمت بالخلود : فالنبوة (في « نبأ » وشقيقاتها : « نبغ » و « نبع » : صورتها الحسية) تكشف عن الملائكة الاعلى والاخلاق (من خلق وهذه من خرق ابدال « الرأ » بجرف « ل ») ترسم السبل التي ترتقي عليها النفس في تحقيقه .

وأما الاربيون ، أبناء الارض ، كما ادعته الاسطورة اليونانية وكما أيد ذلك ممثلو هذا الفرع ، فانهم قد استغرقوا في تجليات الوجود واكتشفوا النظام الذي يطرئ عليه هذا التجلي : النظام الذي يبدو في النفس عقلاً وفي المجتمع شريعة ، وفي الطبيعة قانوناً ، والذي اجملته الفلسفة اليونانية بكلمة « عدل » .

واذا كانت العبقريّة السامية قد تميزت بالنبوة والأخلاق فأفصحت بالأولى عن الملائكة الاعلى ورسمت بالثانية الصورة التي بها يتحقق في النفس ، فان العبقريّة الآرية قد كشفت ، بالعلم عن هذا النظام ، كما انها فتحت بالصناعة ، طريق السيطرة على الطبيعة التي انطوت عليه .

ولئن كانت خاتمة حياة « سقراط » برهاناً على نشأة العدل السماوية فان مشيئة « المسيح » صورة الحياة المثلى التي اذا ما تمثلتها النفس تمثلاً

رحمانياً ارتقت الى مصدر هذه النشأة . ولقد ختم الاسلام هذه المرحلة التاريخية اذ أن فاتحته « الرحمة » (بسم الله الرحمن الرحيم) وقوامه العدل . وما المرحلة التاريخية الحديثة إلا بعثُ التراث اليوناني فقد ابتدأت باكتشاف الأرض ووسعت الانسان قاعدة عمله في الوجود ، وتم هذا الكشف وشيدت قواعد هذا العمل ، على العلم ، في اتجاه هذا التراث وعلى ضوئه .

وانها (أي هذه المرحلة) تستكمل شروطها عندما تستيقظ الأمة العربية (ينبوع الشعوب السامية) التي يتمثل فيها القطب الآخر لهذا التراث ، فترتقي الانسانية حينئذ نحو الملاء الأعلى ، ارتقاء متناسباً مع فسحة أفق الحياة المستحدثة .

وشقيقات كلمة « فضيلة » تكشف عن قابلية حدسها لهذه الاتجاهات المتباينة : انبثاق وفيض ، من جهة ، ورسوخ ونظام ، من جهة ثانية : فيبدو اتجاه « الفيض » في « الفضل » الاحسان والابتداء به بلا علة ، و « الفاضلة » الدرجة الرفيعة في الفضل ، « وتفضل » على ، « التفضيل » ، « استفضل » منه ، و « الفضالة » ..

ويبدو اتجاه « النظام » في « فضل » : كان ذا فضل ، وهي حالة مستقرة ، ومنها « فاضل » و « مفضل » و « فضال » و « فضل » .

سواء أحصل ذلك عن قابلية انطوت عليها النفس بالفطرة ، أم عن عادة بذتها الارادة .

وهذان الاتجاهان ، كلاهما ، ينطوي على درجات متميزة وكلمة « خير » تكشف عن الاتجاه الأصيل لحس الفضيلة ، وتزبده ايضاحاً فهي بكونها من « خرم » خيراً الصورة الصوتية البدائية المتضمنة فيضاً ، ولكنها بالاضافة الى ذلك تشير الى الاصطفاء باتجاه ينبوع « تحيره » ، اختاره ، « الاختيار من جهة والى مصدر هذا ينبوع من جهة أخرى الخير حصول شيء ما على كماله (وهو الاصل والشرف ..)

فالفضيلة اذن تحقيق هذا الخير وخاصة تحقيقه في العالم (فاض ، فضاء) وما المال « مانعيل اليه » الا الوسائل التي يتبلر فيها هذا الخير المتفاوت الدرجات .

« فالخير » و «الفضيلة» كلاهما متلازم وهما متمامان واذا كان الخير في اتجاه الملاء الأعلى « فالفضيلة » فيض نحو الناس . ولما كان «الخير متسامياً فالارتقاء اليه يتحمل أيضاً كل الدرجات : درجات تعينها الهمة التي انعقدت عليها نية الحياة من الوجود ، فأوجبت الجهد اللازم لتحقيقها .

كما أن الفضيلة أيضاً تعين مرتبتها بشمولها الذي ينطوي على تاريخ

حياة محققها ، وبمدى فيضه على الناس علماء وعملاً و «الفضيل» هو كالشمس التي تفتت الخلوقات من فيضها وتهدي إلى أهدافها على ضوءها ، وهو إلى البطولة أقرب منه إلى التقوى .

والئن كانت النفس بالنية تفتتح على الخير وبالهمة ترتقي إلى درجاته فهي بالفضيلة تكتسبه وبه تنمو ، إذ أن النية ، من النفس «كالرشيم» من الحياة التي انعقدت عليه . فكما أن «الرشيم» ، بانتقاله إلى طفل فصبي .. يفتح مشاعر الأمومة عند والدته فيغني نفسها بهذه المشاعر ، كذلك النية ، فإنها بتحققها ، تفتح النفس التي انعقدت عليها وتنميتها . ولما كان الذهن العربي قد أدرك ، حدساً ، الشبه بين «الحياة» و«المعرفة» المنبثقة عنها ، فإنه قد عبر عنها بنفس الصورة إذ قال : عقد الجنين ، وعقد الزهر كما تنعقد النفس على المعرفة (العقيدة) .

وإذا كانت المعرفة الكونية قد تلبس في الذهن بالتداعي (مما حمل «دافيد هيوم» على ارجاع العلم إلى التداعي بالاتصال وإلى العادة التي ينطوي عليها هذا التداعي) ، فالمعرفة الرحمانية وحدة حياتية متفاوتة المدى من حيث العلم والعمل وهي تلزم صاحبها على التوافق مما تلزم الأمم بجنينها .

وما العمل ، في المعرفة الرحمانية الا صورة العلم المتحققة : هذه الصورة

التي ، بالنية تحدد شكها وبالهمة تعين مداها ، والتي هي من معرفتها
كالبوادر (Expressions) من شعورها (émotion) اذ ان وحدتها الحياتية
تتحقق بتجاوبها تجاوباً مستكماً لا شروطه الفنية .

وبينا ندرج «البوادر» بتفتح المداد الذي انعقدت عليه بنيتها ،
فالمعرفة الرحمانية تحقق كلاً من تجلياتها في علمها وعملها : بالاختيار
وباصطفاء الحالات المختارة .

في علمها حيث توجب العقيدة ، بحسب عمقها في الوجود ، اخیال
المناسب لها بالفسحة (كتناسب البدن ، الذي تبدو به الحياة ، مع المرتبة
التي اختارتها في السلسلة الحيوانية فيحقق هذا اخیال ، حينئذ ، في النفس
القيم الانسانية التي انطوت العقيدة عليها مثلما يحقق نمو أعضاء البدن
الغرائز التي تتبدر بها : وان النفس لتقتات بالحقيقة التي بعث بها هذا
الخیال كما يقتات البدن بالاشياء التي تمثلها .

على أن لا الصور ولا اخیال الذي أنشئ من هذه الصور لا تستوعب
معنى العقيدة : والنفس لا ترتقى الى هذا المعنى الا بالنهج الفني فقط :
النهج الذي تستجم به الصور ، المقتبسة عن اوجه العقيدة المختلفة ،
استجماً ، بحيث ينكشف لها المعنى حقيقة .

وهذا الاستجمام هو الذي يقضي باختيار الصور واصطفائها ، على

درجات متفاوتة ، بحيث تدرك النفس عندئذ ، الغاية والوسيلة المؤدية إليها ، كما انها تدرك أيضاً بمجمل الجهد اللازم لتحقيق هذه الغاية ، فذلك يتحدد مسؤوليتها بالهمة اذ ان كل تقصير عن الحقيقة يحرم النفس منها سواء اكان ذلك عن عجز أم عن خطأ .

واذا ما استغرقت النفس في هذا الاستجمام وسهت عن تلازم بدنها فأهملت دعوة كل من اعضائه الى حاجاته ، بدت حينئذ ، في الوجدان النزعات ، التي تتمثل بها هذه الاعضاء بجمهرة من الصور المستقطبة تعبيراً عن رغباتها ، فأشكت هذه الأحلام على النفس اصطفاها ، وعرقلت عليها سيرها فتمعرت الارادة بذلك ، ويشتد الجهد بنسبة ما تبدو هذه النزعات عنيفة .

على انَّ عنف هذه النزعات قد ينتج عن عطب اعترى البنية ، وقد يكون ذلك على الخصوص بتأثير ورائة متدنية حاصلة من تصالب متدنٍ ، فتضمّر فيها ، بتداخل ميزاتها المتباينة قاعدة الخصال الكريمة هذه القاعدة التي تدعو القيم الانسانية الى تعديل عنف هذه النزعات وتوجيه منظومتها ، فتوفر بذلك على النفس الجهد اللازم لادارتها .

وليس عبثاً اذا قيل : « الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون اذ ان الاصالة توفر على صاحبها الجهد وتقيه من المأساة Le tragie هذه

المأساة الحاصلة ، في نفس الفرد ، من اختلال العلاقة فيها بين السماء
والارض ، الملاء الأعلى والطبيعه . وعملاً اذ با تبدو الحقيقة في الوجود
وبتجاوب وجهتي هذه المعرفة الرحمانية نتحقق وحدتها : وجهة تنكشف
بها . نفس ، علماً ، وأخرى ترسم بها في الكون عملاً .

وان بدت صورة النية مرتسمة على سماء صاحبها (النية التي تحققت
بهذا العمل) فهي تبقى مطبوعة في بنيته أيضاً : مثلها كمثل الموجة التي
تدل آثارها على شكلها ، الآثار المحفورة في صخور الشاطئ ، فهذه الصورة
لا تنكشف عن هويها صاحبها فحسب بل انها تشترك أيضاً في تحديد
مصيره اذ أن مجاريها المطبوعة في بنيته تدعو امعناها الى العودة (العادة) .
ولما كان الخير متسامياً ، فان العادات التي تنطوي عليها البنية متفاوتة
أيضاً بالعمالي ، وقد تبلرت بها تقاليد المجتمع . وما دامت هذه التقاليد
تتجاوب مع تلك الخيرات فتنعكس قراراتها على قدر الذين تجسمت فيهم
هذه القيم : ينعم الجمهور بمهده الذهبي : العهد الذي تبدو فيه الفضيلة علماً
وعملاً أيضاً وعادة .

ولكن اذا ما عجز هذا المجتمع عن اخضاع القدر لمشيئته
فانحرف ، هو ، بتياره ، زاح ، حينئذ ، أبناءه عن حقيقةهم فُحجبت

نفوسهم عن هذه الخيرات . مثلهما يحجب الغيم عن الأرض ، النجوم
المطلّة عليها بنورها فباتت هذه النفوس في ظلمة ، قلقة مضطربة .

يختل في هذا المجتمع نظام القيم فتستأثر بالمادية منها بالانسانية
وتطغى عليها القوه الناشئة ، فتبرز الانانية وتندفع الميول الدنيئة ويصح
حينئذ قول النبي : « يا أولاد الأفاعي » .

وهيئات تحاول بعضُ النفوس الكريمة في هذا الانهيار العام ، أن
تكثّف ، بجرصها على التقاليد الموروثة ، قبس النور الباهت المنبعث
من تلك الذكريات القديمة ، فلا يدخل ملكوت السماوات من لم يولد
ولادةً جديدة .

تلتبس ، في هذا العهد ، الفضيلة بالتقوى ، ومع ان القيم الاجتماعية
منظومة (système) اذا ما زاحت بيتها عن معناها أمسى المجتمع
مشلولاً كأنني به جسم خرجت فيه العظام من حقمها فلم تبق فيه
المؤسسات العامة ولا الكلمات التي تلخصها سوى أصداف تقلصت
منها الحياة فجافت . وهذا ما قد انتهى اليه العرب في مرحلة تاريخهم
الراهنة .

فليس على أبناء هذه الأجيال التعيسة ، المتحيرة ، الا أن يتركوا

الأموات وشأنها ، فيصبوا بأنفسهم الى السماء حيث تفيض الحياة ،
فتجرف بفيضها ماتراكم عليهم من قيم بالية . وينبتق النبي من صميم
الامة حاملاً الى المجتمع رسالته ، الرسالة التي يتجلى بها ، للباس معنى
هذه المرحلة التاريخية ، ويصدر حينئذ نظام القيم الانسانية متجسماً
في ذاته .

لينبتق النبي من الامة كما ينبثق بركان من قلب الأرض فيدفع
بقشرتها ، ويشق طبقاتها متصاعداً ، فيخرج منها ما ضم في جوفها .
فهو يزجح أيضاً التوقعة التي نسجتها الاجيال من قيم بالية فينهض بهذه
النفوس الخائرة ، المسترسلة في انحدارها ، الى حقيقةها ، بحيث يتجلى
معنى هذه المرحلة وبتجاوب تجلياته في كل نفس تعود الميول الدنيئة
الى منظومتها منسجمة فيها ، فتبرأ هذه الميول ، بانسجامها ، من دنائتها
وتتلاشى الأناية الحاصلة من استغرائها في الأشياء : وحينئذ يتحقق
ملكوت السموات على الارض . ويعود بهذا المجتمع وكأني به
انشودة ، قد استجمت في ذاتها ، كل من الحانها . كافة اصدااء أخواتها
فتحولت بهذا الاستجمام الى وحدة أشرفت فيها الأنشودة بكاملها .

فالمفضيلة ، في هذا البعث ، هي بالنية المنطوية على العزم ، بالنية التي

تتفتح بها النفس على السماء اذ : لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما
بأنفسهم ، وبالشجاعة (شج) التي تشق بها الارادة حجبتها فتعلو الى حيث
تتجاوب هذه المنظومة وهي ، أيضاً بالتضحية حيث أن صورة صاحبها
بأشعتها السحرية ، تزيل الفواصل وتصهر الحجب الغليظة فترفع النفوس
وترتفع هي بذلك .

فالفضيلة هي اذن بين النبوة والعادة . اذ أن النبي معنى هذه القبة
(المرحلة التاريخية الصاعدة) حيث يكون لكل فلكه في هذه المخطط
(الطوبوغرافيا) الجديد . فهو منها بمثابة الخلية المولدة [cellule génératrice]
واذا كان المعنى بالنبوة يتجلى في الوجود فانه بالفضيلة يرتسم على الارض ،
فالأفاضل . في العالم ، كالأحياء الذين تحترن في بذيتهم فيوضات الشمس .
ليست الكهنة العربية من اسرتها ، فحسب ، كالعربي من أمته أو
بالأحرى كالخلية [La cellule] من الكائن الحي ، بل هي كذلك ، من
منظومتها اللسانية :

فالخلية تنشأ من كائنها فتتمو ، في معنى تطوره العام ، متضمنة ميوله
ومعبرة عنها من وجهة نظرها الخاصة .
والعربي منبثق عن أمته حامل ميولها كقابليات تصبو الى الوجود

فيحقق منها ما انسجم مع محور شخصيته ضمن بيئته العامة (الطبيعة المجتمع)
والكلمة العربية، كذلك، بصورتها وبما تنطوي عليه هذه الصورة
من معنى، هي كاتجاه من منحني معين، تعبر عن تجلي بنيان الأمة في برهة
من تطورها. وما اللسان العربي الا منظومة صوتية تتجاوب بها هذه
التجليات، وهو يعكس صورتها ويتبع مصيرها.

ولما كانت الأمة تنشئ كيانها (في عهدا البدائي او الجاهلي)
بغريزتها، تحقيقاً لذاتها فقد كانت هذه المؤسسات متلازمة ومتتامة اذ
هي تعبر عن وحدة سماوية تندفق فيها الحياة فتزهو بها تجلياتها، وكان
شعار العربي في هذا العهد الذهبي البطولة: البطولة التي تحقق بها الحياة
غايتها والتي كان يكسور وعنها بالصور الشعرية اللائقة بها.

فلما زاح هذا المجتمع عن حقيقته وانحرف العربي عن محور شخصيته
انقطعت عنه يناييع الحياة وضمرت فيه مظاهرها وضرت زعاته المثالية
وتقلصت عنه العواطف الرحمانية، فضاقت دنياه (أفق غاياته) واستغرق
في الاشياء فأمسى مادياً أنانياً دينياً.

ولقد بدت مظاهر هذا الانحلال على لسانه أيضاً، اذ به يتلخص
بنيان الأمة وعليه تنعكس تطورات مجتمعا: فانحرفت فيه الكلمة عن

منظومة معاني اسرتها ، وانزوت عن شقيقاتها وأمست ، بانقطاعها عن خيالها الحسي الذي تستمد منه نسفها وتعين به قيمتها كالورقة التي قطفت من غصنها فجفت وتناثرت في مهب الرياح .

ملاحظة : ١

إذا كان قوام المجتمع العربي : الاسرة ، فالاصالة في الاسرة فتلازم ابنائها بالمسؤولية ، فان قوام اللسان العربي ايضاً : المصدر وتلازم مشتقاته بالمعنى ، والصورة الصوتية البدائية التي ترجع اليها ، بالتسلسل ، كافة هذه المشتقات .

لذلك ينبغي ، في دراسة اللسان العربي ، أن يتعين :

اولاً . - منظومة معاني أسرة الكلمة المبكرة في شقيقاتها ، للارتقاء بعدئذ الى الحدس الذي انبعثت منه هذه المنظومة وذلك بالاستناد على الصور الحسية والمفاهيم العامة التي تمثل اتجاهاتها الأساسية .
ثانياً . - أن نحدد نشأة هذه الاسرة ، واذا قضت الحاجة أن تتابع تطوراتها بالتسلسل الى أن تذهي بالصورة الصوتية المقتبسة مباشرة عن الطبيعة .

ثالثاً . - أن يتعين اتجاه الذهن العربي الذي تنطوي عليه مراتب الاشتقاق ويكشف عن طبيعته وعن طبيعة الموجات التاريخية التي

دعت الى تحقيق هذا الاتجاه البادي في المشتقات ، أي تعيين علاقة
الامة العربية في يديتها (الظروف التاريخية) والكشف عن ماهيتها من
خلال هذه العلاقة

رابعاً ٥ - أن تحصى وتبين النهج التي سلكتها العبقريّة العربية
في بناء اسانها (راجع «نمو اللسان») .

ملاحظة : ٢

إذا كانت الاصاله والانسجام يعينان معنى الكلمة العربية ويجددان
من تطورها ، فهما يردعانها عن الشذوذ أيضاً ، وان هذه النزعة لتبدو في
كافة مظاهر حياة صانها ، حيث يردع تلازم المسؤولية العربي عن الخطيئة
في سلوكه وعن الخطأ في تفكيره : (« خطيئة » و « خطأ » من
«خط») وهما يمنعان من الخروج على التراث الذي حددته الفطرة تراث
فيه المؤسسات العامة صورة المصمم الذي انطوت عليه فطرته . يظلال
دعامة لهذا المصمم وبتساندهما تقوم الشخصية العربية وتنمو ولكن
نمواً يجدد من فسحة أساطيرها .

فلا العربي ولا كلمته التي تعبر عنه لم يصبراً مركزاً الاستقطاب
مناقب مختلفة يفسح فيها الخيال لتحقيق الميول المكبوتة .

مع أنه في الامم الحديثة، قد خرجت الكلمة وصاحبها أيضاً عن
المنظومة التي انطوت عليها الحياة، فاستبدلها بقوام خارجي: فعوض:
الفرد عن الاسرة بالشركات الخصوصية؛ والكامة المستجيبة الى رمز
تحدد قيمتها بالاسلوب الذي تنسجم فيه، وأمسى كلاهما يتلقى النظام
من الخارج مفروضاً عليه وكلاهما يخضع للقدر ويتكيف بتموجاته:
بذلك تتميز الثقافة العربية ذات الخلود (النمو والاستقرار) عن
المدينة الحديثة ذات الطابع السرمدي (سرى، ومدى) والتي شعارها
الصبرورة!

* * *

الفصل الرابع

البيان المرئي

بالصورة الحسية اذن يتفتح الذهن العربي ، وباشتقاق هذه الصورة المقتبسة عن الطبيعة يتوضح . واذا ما استجمت ، هذه التجليات الحسية والمفاهيم التي تجعلها في وحدة ادراك انكشفت في وجدان العربي الحدس التي انبثقت عنها منظومات معانيها عن بصائر في بنيان الوجود (في بنيان الحياة ومن خلالها في بنيان الكون) وتحقق حينئذ ، بهذا الكشف ، الملاء الأعلى في نفسه فاصبح ذاتاً متمتعة بالخلود .

واذا كانت السماء والنجوم المنبثق بعضها عن بعض ترمز الى قرارة نفسه المتجلية بهذه البصائر فعقليته أيضاً تعكس المنظومة السماوية التي بها تعين حدود التجاوب بين هذه القرارة وبين ذلك الرمز صورتها أي بين قطبي الوجود .

فان كانت النفس تتفتح باتجاه احد هذين القطبين ، فقد تحدد مدى

هذه الفسحة بالهمة التي انعقدت عليها الحياة في مرتبة ارتقائها في القطب
الاخر . وما المكان (L'espace) ذو الابعاد الثلاثة (من «ما» «وكان»)
الا ظل هذا التجاوب الملقى على عالم الامكان «Le monde possible»
ظل يمثل بعده الثالث (العمق) هذا الارتقاء .

ولئن زعت النفس الى المكان كنقطة خيال فهي تبقى عند حد
المادة التي تنطوي على المدة والامتداد بتغلب اتجاه هذا الاخير : أي
المادة التي إطارها الرياضيات وكساؤها الحالات المتجلية بها النفس
احساسات .

فان صبت هذه النفس الى المعنى مثالها فهي ترتقي اليه باستجمام
تجلياته : استجماما بدرت به صورتها في الكون بدناً فمرت به عن وجهتها
نظرها في الوجود .

ولقد بنت الحياة هذا البدن قاعدة عليها ترتقي النفس ، وآية بها
تهتدي : اذ تتلازم عناصره في وحدة عضوية يتمم بعضها ببعض .

وهي التي قد ميزت هذا البدن بالاحساسات والمشاعر معاً اذ انها
بالاولى حددت علاقته بالاشياء ، وبالمشاعر عينت خاصيته بالنفس .

تغلق وجهتها المؤثر بالاثر فلتبس الحس بالشعور بنسبة علاقة الاول
بينان البدن . فتكشف هذه النسبة عن غاية الحياة من الوجود : اذ أن

الاحساسات قبحهم وتتضائل ؛ رغم خطورتها ، والأعصاب المختصة بها
تتناثر باقترابها من بديان البدن وهي أي لاحساسات ، بنسبة ما تستدق
تلتبس بالألم .

كأني بالحياة قد تقصدت من ذلك أن تقى الانسان من الاستغراق
في هذا الاتجاه : استغراقاً قد يصرفه عن غايته الأصلية ، ولذلك اكتفت
بتجهيزه إجمالاً بشعور عام ، سواء أكان باتزان البدن (*équilibre*)
فيحصل عنه السرر ، أم ينموه (*croissance*) فينتج عنه الفرح بينما
تفاوت أجهزة الحواس انتظاماً ، بنسبة نزعته إلى العالم الخارجي
وتحررها من مشاعر (*affections*) البدن ، والسمع والبصر يمثلان غاية
هذا الاتجاه ويكشفان عن صبوة الحياة إلى الأنامية (*objectivité*) ،
كما تكشف الحياة العملية أيضاً عن نفس الاتجاه : إذ تلتبس فيها الأشياء
بالنزعة إليها فتشبع بمشاعرها ، وتستغرق الحدس الاجتماعية في تقاليدها
فيطمس على قيمها ، ويتغلب حينئذ نمط التداعي على التفكير : فتستقطب
المشاعر إليها ويحصل عن هذا التداخل الأساطير المعبرة عن مفاهيم هجينة
(*batars*) وعقيمة (*stériles*) ، فيضيق بذلك أفق الحياة وتلتبس
السماء بالأرض ، فينتج عن هذا الالتباس الوثنية ، وينتهي المجتمع ،
حينئذ ، بالحالة الابتدائية (*L'état primitif*) .

أما إذا ما استجمت الحياة ذاتها ، ونحرت من حاجتها ، فانها تهتدي حينئذ إلى حقيقة معناها فتدرك غايتها : إذ أنها تكتشف بتمايز قطبيها ، سبيل العلم والعمل ، السبيل الذي تقوم به نُهْجُ تفكيرها ، وتخضع الطبيعة لمشيئتها ، وترتقى حينئذ نحو بنيانها العقلي (الفلسفة التحليلية) . وبهذا التمايز أيضاً تفتتح الحياة على صميم الوجود فتفقه ما انعقدت عليه طبيعتها الاجتماعية ، والقواعد الاخلاقية التي انطوت عليها هذه العقائد . وتتجاوب هذين القطبين تنتهي النفس بالبصيرة التي تنكشف لها بها حقيقة الوجود .

فالانسان كائن بين السماء والارض : إذ أن بدنه من الأديم (آدم ، اقامة ...) وروحه منبثقة عن روح الاله وهى على صورته (أسطورة آدم) وما البدن والروح إلا وجهتا الوجود : وقد حصل تميزهما من وجهة نظر المعرفة الانسانية فقط .

فإذا توجهت النفس نحو تجلياتها وتلاقتها بالحواس صارت هذه التجليات بالنسبة إليها عالماً ، وإذا هي تفتحت نحو صميمها فأدركت المعنى أصبحت ملاء أعلى .

والعالم والملاء الأعلى هما (قطبا الوجود) اذ يتحدان بالبصيرة التي

رمزت الحياة إليها بالبصر صورتها الحسية لما تنطوي عليه هذه من نور ووضوح .

ومما مثل هذه المعرفة الرحمانية والفنية إلا كمثل الأم التي أدركت طفلها بجواسها وأجابت على هذا الإدراك ببدور المشاعر التي تنطوي عليها نفس ولدها .

وإذا كان البدن يفتات بالادامة (الغذاء) فينمو بها وهو من الكون كابرعم من شجرتة ، فالنفس أيضاً تفتات بالحقيقة التي تجلي بها لها المعنى .

وإذا كان الشيء صورة النزعة الحسية ، فإن للعقيدة أيضاً خيالها الذي تتحقق به ، وهنحة العلاقة النزوية (spontanée) بين الشيء وصورتة وبين العقيدة وخيالها ، تكشف عن اغز الأديان في : كمن فتكون . إذا أن الحقيقة المنجلية للنفس تبدر بمجرد اختيارها ، عملاً في الكون وإن هذه النزوة تميز الأمة البدائية من الأمة المشتقة : تميز بين النزوة والإرادة لما تتضمن الأولى من إصابة حدس وتوفير جهد .

تنشأ الأمة البدائية عالمها من صور حسية تتجلى بها الحياة في الكون ، ولئن كانت بعض هذه الاحساسات ، وخاصة ما يتعلق عنها

بنيان البدن مبها ، شعورياً (affective) ومستعداً عن ارادة الفرد الذي تنشئ بواسطته هذه الأمة عالمها فقد وقف اختيارها عند حاستي السمع والرؤية اللتين تتمتعان بالانامية (objectivité) وبالإضافة إلى هذه الانامية يمتاز الصوت بخضوعه للارادة (من حيث إيجادها وبعثه في الذاكرة) ويمتاز النور ، بوضاحته وبتزاوج ميزاتها شق الإنسان طريق العلى .

لقد جهز الفرد بالأذن واللسان عضوي السمع والتصويت . متلازمين ، ولما كان الصوت من بوادر الحدس (d'émotions ex pressions) ومعادلاً ، بالمداد الذي انطوى عليه ، للحركة العضلية المرافقة لحدوثه فقد أثرته النفس على هذه الحركة ، ما في ذلك من اقتصاد في الجهد وسهولة في الحفظ .

وليس عبثاً إذا اتخذت الحياة الأذن مقرراً لا تزان البدن وكان الرقص ملازماً للغزف (Musique) . فمداد الصورة الصوتية وإن تحول الى عادة مستقره في الدماغ بحيث يخضع مفهومها للارادة ، إلا أن هذه الصورة تجمل المفهوم فقط ، وترمز إلى أغرضه (الشيء) مع أن تأثيره السحري في بنيان الفرد إنما هو بنسبة وضاحته أي قابليته لبعث خصائص الشيء في النفس ، وتحويل الخيال بهذا البعث إلى حقيقة

مماثلة وهذه الوضاحة تحصل في الوجدان من تراوج خصائص الشيء المرئية مع الصوت المعبر عن تأثيرها في النفس والكامة ، كصورة صوتية تشير اليها . وبتداعها مع الامدة المستدقة التي انطوت عليها حالاته المرئية تبعث بها بالإستناد على القدرة المخترنة في الدماغ، فتعيد بذلك إلى المفهوم عمل غرضه الأصيل : كأني بالدماغ والبدن الذي يستكمل به هذا الدماغ شروط وجوده ، أرض^٢ نبت فيها الافكار فتتحقق في الأمة البدائية اذن ، تنسجم الاشياء المجملة بالمفاهيم العامة المعبر عنها بالكلمات ، وتكشف جملة هذه عن وجهة نظرها في الوجود بحيث تتحدد بهذه الوجهة صورتها المرئمة في عالم الإمكان .

أليست الميول المنطوية عليها بنية الفرد هي التي تحد له انتباهه سواء في اصطفاء الذكريات أم الاحساسات فتعين له بهذا الاصفاء حدود مداركه التي ينشئ منها عالمه ؟

فالوجود لم يكن بالنسبة الى النفس ، على سطح واحد وهو وان بدا لها على هذه الصورة عند غاية تجلياتها (المكان) فانها ترتقي ، عن طريق صميمها ، في الاتجاه الاخر ، وكل مرتبة تعتملها تبدر حدساً

(الهاماً) مستدعيًا الخيال الذي به يتحقق ، فيبدو الوجود بهذه الخيالات
المناسبة الفسحة مع عمق حدسها ، مختلف الابعاد «en relief» .
على أن الخيال يستعير عناصره من الاحساسات والذكريات ،
فالعادة الحاصلة من تداعي هذه الاحساسات ، والمشاعر الباعثة بالذكريات
المحققة لهيول النزاعة الى الوجود ، كلها تعرف على النفس هذا الانشاء
مما يؤدي الى التباس الشعور بالشيء ، وتقص الحدس في مظاهر
الطبيعة : التباس يستهدف العلم تمييزه ، وتقص يحاول الفن ايضاحه .
ان الفنان لا يقف عند التقليد ، بل هو يتعداه الى الابداع : واذ يحاول
الرسام أن يحقق حدسه بالاحساسات المرئية ومنحنياتها فان هذه تخرج
بدقائقها عن صلاحية ارادته ، وتلجئه الى صور الاشياء . ومن المساومة
بين طبيعتها الخصوصية وحقيقة حدسه يخلق بنات نفسه (اللوحات
الفنية) .

وقد تتحرر النفس في المنامات ، الى ابعد من حدود هذه
الاعتبارات ، بحيث يستقطب الحدس جمهرات مختلفة ومشتتة من
الصور المرئية بياناً عن ذاته . ولم تنبغ الانسانية بعد الرسام الذي
يتصرف مطلقاً بمادته كتصرف الموسيقار .
فان هذا يبدع أنشودته بمنظومتها العامة وبالخانها

تحقيقاً لالهامه ، وهو يستفيد خاصة من ميزة مستثناة ، ألا وهي تراوج
الاصوات بمداد البدن تراوجاً كلياً بحيث يبعث بها في النفوس حياة
(vivante) ومتجسمة ولذلك التمس على الأقدمين ، العزف (Musique)
بالسحر .

اما الشعر فهو مزدوج الطبيعة ، اذ يجمع بين الرسم والعزف
(الموسيقي) فالشاعر يختار ، في الملاء الأعلى ، مداد الهامه الأصيل
كاختيار النفس بنيتها . وهو يفصل هذا المداد المجمل بتموج عباراته
(phrases) ويعين حدود هذه التموجات بالكلمات التي تنطوي على
الصور المرئية بحيث يكتسي المداد ويزداد وضوحاً وبذلك يخلق الخيال
المحقق لالهامه ، وبنسبة ما يصيب الخيال حدسه ، بجملة وتفصيلاته
تتبع قيمة الشعر الفنية فكافاً مبدعه قوةً وفرحاً ونوراً .

تبدد الأمة البدائية اذن ، في الكون ، حاملة سياءها مجمة
« en esquisse » فتفتح عنها بتجارب تجليانها بين قطبيها في عالم الامكان
قطب ترسم به في بنية أبنائها معرفة متبلرة ، وفي الكون عالماً تنعكس
عنه الطبيعة محددة امكانية ادراكهم ، وقطب آخر ترتقي اليه النفوس
من خلال هذه التجليات المستشفة ، في تسامها بنور ذاتها .

وها نحن نورد بعض الامثلة المقتبسة من اللسان العربي ايضاحاً لما تقدم وتثبيتاً لبداية الأمة التي اوجدتها .

فكلمة «نب» مثلاً المؤلفة من حرفي (نون) و(ب) تعبر بحسب مخرج كل من حرفيها : عن الصميم (النون) وعن الظهور (الباء) ومجملتها تفيد الانتقال من الداخل الى الخارج فالظهور والتعالي ... وعند التحليل تظهر كافة الكلمات المنتسبة الى أسرة هذا الحدس اتجاهاته الأساسية :

١ - لما كان الصوت أبرز ما يخرج عن صميم الانسان ، فان أكثر المصادر قد تضمنت مشتقات تشير اليه : «نب» التيس : صاح ، «نبأ» صات خفيفاً ، «النبأ» و«النبؤة» : الصوت الخفي أو الهاتف ، «نبج» كان شديد الصوت جافي الكلام ، «نبج» الكلب : صات ، «النبخة» : النكتة ، «نبر» المغني : رفع صوته بعد خفض ، «نبس» بالمجلس : تكلم نبض في المجلس : تكلم ، «نبض» العرق : تحرك وضرب «أنبض» القوس : جذبه ليصوت به ، «انتبط» الكلام : استخرجه ، نبغ الرجل قال الشعر وأجاده .

٢ - هنالك اتجاه آخر ، تظهره على الخصوص الصور الحسية والخيال الذي انشئ منها ، وهو الصعود أو التعالي : «نبأ» الشيء ارتفع النبيء المكان المرتفع ، نبت : نشأ ونما (خرج من الارض) «نبت» فلان : غضب

(ظهرت كوامنه) ، «النبخة» : الائمة «نبخ» العجين : اختمر وانتفخ
الارض «النبخاء» المرتفعة . «المنبوذ» الولد الذي تلقىه أمه . «النبذ»
عصير العنب . «نبز» الغلام : ترعرع . «نبز» الجرح : تورم . «النبض»
القليل من البقل اذا طلع . «نبق» الشيء : خرج ، «نبك» المسكان :
ارتفع «النبكة» الائمة ، «النبأة» المرتفع المشرف . «النبيء» من
الارض : ما ارتفع . «النبوء» العلو والارتفاع .

٣ - ولما كانت الصورة الصوتية البدائية بيانية ونشأتها انسانية فان
الحدس يتفرع الى المعاني الاصلية الاتية : «النبوة والنبى» وصورته
الحسية : الطريق الواضح والمكان المرتفع . والنبوغ والناغ : غبار الرحي
(الدقيق) والنبيل والنبيل وورثتها الحسية : النبال والسهم . النبیه
والنباهة : (اليقظة من النوم او الشرف) .

٤ - استعار الذهن العربي بعض الصور الحسية التي تزيد من ايضاح
حدسه فتعين اتجاهاته الاساسية : منها : «نب» الماء : تسيل «نبض»
الماء : سال أو غار : «نبع» الينبوع «نبط» الماء : نبع ، «نبغ» الماء ..
وبالنظر لتوضيح الحدس بتجاوبه مع الصور الحسية ، فان
آثار هذه الصور قد تنتقل نحو الداخل منها نبت الشجر : غرسه
«نبت» البئر : نبشها وأخرج ترابها به ، نبش الشيء المستور ،

« نبصر » الشعر : نفه ، « نبط » البئر : استخراج ماءها . « استنبط »
الشيء أظهره ، « نبق » الشجر غرسه مرتباً .
ولربما كانت هـ هذه الطريقة الأخيرة منشأ استعمال الازداد في
اللغة العربية .

يبدو التوافق في الامثلة المتقدمة ، بين العقول والمحسوس دقيقاً ،
والانسجام في معانيها شاملاً ، رغم أن هذه الكلمات قد أبدعت في عصور
متفاوتة وفي اقاليم مختلفة .

كأن هنالك عبقرية قد انطوت عليها نفوس كافة أبناء هذه الأمة فعبر
كل منهم عنها من وجهة نظره الخاصة ، وهم منها يستمدون فسهم ، وإليها
يصبون كمثل أعلى وبها تنسجم ثقافتهم « بنيانهم الانساني » مع الميول
التي تتضمنها نفوسهم .

ويؤخذ من هذه الأمثلة أيضاً أن الحدس فيها يتقدم على انصوره
الحسية والمفاهيم العامة التي تحاول التعبير عن اتجاهاتها الاساسية
كتقدم الميل على الاشياء « حاجاته » التي تحققه ، فيحدد انتباه الفرد
ويوجه اختياره ، فيكشف عن قرارة الحياة المرتسمة على الكون
بآثاره .

وهناك مثالا آخر تتقدم فيه الصورة الحسية على الحدس فيحصل

من تجاوبها تفتح الصورة الى مشتقات صوتية «كلمات» مشيرة الى خيال مرثي ، وتفرع المعنى في اتجاهات ملائمة لطبيعة المراحل التاريخية التي تحققت فيها العبقريّة العربيّة: فكلمة «نس» ، مثلاً ، البدائية هي صوتية - مرئية : « نس » الحطب : أخرجت النار زبده على رأسه ، فالذهن العربي قد ادرك في هذه الصورة اولا الحالة التي ينتهي اليها الحطب في طبيعته ، ثانياً الزبد الذي خرج منه . فخص هذا الاتجاه الثاني بكلمة «نز» الحاصلة بابدال حرف (س) بحرف (ز) شقيقتها في المخرج .

ولقد عبر هذا الذهن عن حدسه في الطبيعة الآخذة بالضمور والجفاف ، بالصورة الاولى اذ قال : «النسيس» و «النسية» الطبيعية ، بقية الروح في الجسد ؛ النسيمة والسعاية ؛ «النسس» : الاصول الرديئة ، «النسيس» غاية الجهد ، «النسي» ، المخالط . . أما المشتقات التي تعبر عن الصور الحسية فهي : «نس» الحبز : ليس ، أنس الدابة : أعطشها ، «أنساً» الدابة دفعها عن الحوض ، «نساء» الشيء : أخّره . . ومنها بالتضاد : «نأت الدابة : بداسمها (بحيث أنها تأخرت في المرعى . . .)

واما كلمة «نز» المتفتح خيالها في اتجاه الزبد ، فتتضمن أولاً صورة

الينبوع ، ثانياً الحركة البادية فيه ، ثم الصوت الحاصل عن هذه الحركة
مثلاً : « نَزَّ » المكان : صار ذاتِ «النز» الطبي : عدا . «النز» : الطريف
الفؤاد ، كثير التحرك لا يقر في مكان . وهذه الكلمة تقابل تمام المقابلة
كلمة spontanée الكلمة الافرنجية التي تعني بالاصل الينبوع (صورة
الحياة المنبتقة «النزّة» الشهوة ، ناقة «نزّة» خنيفة «المنز» : المهذ . « نَزَّ »
الطبي : صوت .

واغرب ما في هذا الحدس أن كلمة «أنز» تعني تصلب وتشدد
وذلك بادخال الهمزة المعبرة عن الفعالية أي ان التكلف يجفف من النزّة
(la spontanéité) . ومنها : «نزىء» به : أولع به «نزب» الطبي : صوت
النزب « ذكر الطباء والبقر ، «نرج» الغلام : رقص ، نرحت « البئر :
قل ماؤها ، «نزره» استخراج ما عنده قليلاً قليلاً . «نرت» النانة : قل
لبنها ، «نرع» المريض أشرف على الموت ، «نرع» الولد أباه أشبهه ،
«نرع» الى أهله : اشتاق ، «النزيع» : الذي ينزع الى عرق في أهله
«نرعه» : حركه أدنى حركة ، «نرف» البئر : استخراج كاه . «النزفة»
التقليل من الماء ، «نرق» الرجل : طاش عند الغضب («رق» للمقاومة ،
وصورتها الحسية «نرق» : امتلا الى رأسه) و «أنرق» : تكلف النرق
فدخول الألف (التكلف) قد حولها الى ضدها «أنرق» الرجل في الضحك

أفرط فيه وأكثر. «نزل» : انحدر، «النزل» : المطر ، «نزل» الرجل حرك رأسه ، «نزه» تباعد عن المكروه وكان عفيفاً ، «نزا» (وثب) «النزأ» و«النزوه» (impulsion) «نزأت» الحمر : وثبت من المراح ، «النزوان» ..

ملاحظة : عرفت الأمة العربية في الغرب ، بطبيعة شعوبها (أي المتشعبة عنها) الهجينة بينيتها وثقافتها ، ونسب إليها التجريد والشكلية اللذين هما من نواقص هجنتها (ses batards) الكلدان والاشور واليهود هذه الشعوب السامية التي تحكم بها التقليد بطغيان الدخيل عليها ، مع ان اللسان العربي ، وهو بدائي وعضوي البنين يكشف عن صورة الأمة التي انشأته ويهدينا الى شمول الوصفية (qualité) على كافة مظاهرها ، اذا كان العرب في جاهليتهم يسمون تقسيات الزمان بمجالات المكان الملتبسة فيها ، وبتجيليات أممهم التي يترافق ظهورها تاريخياً معها فأطلقوا على ايام الاسبوع أسماء «أول» ، «أهون» «جبار» ؛ (ديار) ، (مؤنس) (عروبة) ؛ تيار «تيار» .

ولكن عندما انحدر المجتمع العربي في اتجاه تلك الشعوب المتجمدة استبدل هذه الاسماء بأخرى دخيلة على الذوق العربي وهي : «الاحد» «الاثنين» «الثلاثاء» «الاربعاء» «الخميس» «الجمعة» «السبت» وكانوا يطلقون في ذلك العهد على شهور السنة الاسماء الآتية

«مؤتمر»، «ناجر»، «خوآن»، «صوان»، «رني» «أئدة» «الأصم»،
«عادل»، «ناطل»، «واغل»، «ورنة»، «يرك» .

وتبدو، في أسماء الشعوب المستعملة حالياً، سيطرة الأجنبي شكلاً
وذوقاً: اذ هي :

«كانون الثاني»، «شباط»، «آذار»، «نيسان» «أيار»، حزيران
(تموز)، «آب»، (أيلول)، تشرين الأول، تشرين الثاني، كانون الأول
وأما ساعات اليوم فهي تكشف بوضوح أكثر عن الذهنية العربية
الوصفية (qualitatif) والمستدقة (nuancée) فساعات الليل هي :
«الزلة»، «الزافمة»، «البهرة»، «السحر» «الفجر»، «الصبح»
«الصباح» .

وساعات النهار هي :

(الزور)، (البزوغ)، (الضحى)، (الغزاة)، (المهاجر)، الزوال
(الدلوك)، (العصر)، (الاصيل)، (الصبوب)، (الحدور)، (الضروب
حتى أسماء الاعداد نفسها، في اللسان العربي، تحمل بصورة رشيمة
(en germe) صفات نشأتها: إذ أن «الواحد»: من (حدّ - طرف)
و «الاثنتان» من (ثنى) و «الثلاثة»: من ثلثة، و «الاربعة»: من ترّبع .

فهذه النشأة ، وهي فريدة من نوعها ، تكشف لنا خاصة عن تكوين
الاعداد ، في الأصل ، من المكان .

يؤخذ من هذه الامثلة المتقدمة أن الذهنية العربية الخالدة (ذات)
الخلود) ليست مجردة ولاشكائية (وهاتان هما صفتا الشعوب الهرمة
والجوفية) وانما هي وصنية (qualitatif) بكافة مظاهرها ، وما الكلمات
منها الا صور (ذات الخيال المزدوج : صور وصيرورة) ترتكز على
انجاهات مدادها المختلفة عند تجليها ، فتعبر بها عن حدود نوحها . وان
تلازم هذه الكلمات بخيالات أسرتها يساعداً دائماً على بعث الحالة الاولية
وتجديد حيويتها ورواقها .

الترادفات

ان الكلمة العربية حيوية ، وهي من النفس ، عند استعمالها كالنفس
من الملاء الأعلى ، عنها تتلقى حدسها ، وبها يتحدد مدادها « بدنها » ،
وبتجليها صوتي والمرئي تكثسي . وهي ، كككل كائن حي ، ذات فردية
خاصة تميزها عن سواها .

لقد التبست هذه الحقيقة على الكثيرين من الدخلاء على اللسان
العربي ، وخاصة على الاجانب منه ، كما التبس ، على عشيرة «نورية»

الكؤوس المختصة بانواع المشروبات المختلفة ، في قصر قدخان الدهر أهله
فاحتل من قبل هذه العشيرة ، او كما يبدو للعامي الاختلاف في وظائف
المقصات المستعملة في الجراحة طامساً .

ولئن كانت المدنية الحديثة تجيب على تفرع الاعمال باختراع الاوائل
المختصة لاداء عملها ، فالذهن العربي أيضاً ، تحقيقاً لنتزعته الى الابداع
وتحرراً من العطالة المستحكمة بالاسم المؤلف ، يحدد صفات المسمى
بمشتقات هي كصور شعرية قد عميت عنها بصائر الدخلاء فتلقوها
مترادفات منتقلات ، وهاك بعض الأمثلة ايضاحاً لما تقدم :

١ - «الاسد» من (ساد) ، (سيادة) ، السيد (وظله : الاسود)
من يجمي الذمار ، و«ساد» من (سد) : بمعنى أغلق حـ. ساه على الغير ،
«الليث» : من القوة والشدة . «الزبر» : من (زبره) : منعه (أزبر) الرجل
عظم جسمه . ازبأر الكلب : تنفث وتهبأ للشر (الأزبر) العظيم الهيكل
«غضنفر» : من غض ونفر . فتنييد الاولى : ثنى وتشنج ، «الهزبر» :
الشديد الصلب ، من هزبر : قطع) ، «الهيثم» من هثم : دق وسحق ،
«الأصبح» بالنسبة الى طلعتة : (الوضيء الوجه) ، «ورد» بالنسبة الى
لونه ، «ضرغام» من ضر ورغم وهي من صفات الشجاع القوي . «السبع»
المفترس من الحيوان .

ب - «فرس» من فر بمعنى طار أي سريع العدو . «حصان» : من حصن وتحصين ، فكأن صاحبه يتحصن به من الأعداء «جواد» : كريم بمعنى أنه يقدم على الخطر ويبدل نفسه في الأقدام . «المدكي» النجيب من الخيل . «سابع» بالنسبة إلى شكل حركته السريعة في الركض ، «ضامر» بالنسبة إلى بنية جسمه . «أجرد» بالنسبة لشعره (الأجرد : القصير الشعر) . «أقب» بالنسبة إلى قوامه (الاقب : المرتفع) . «كفيت» بالنسبة إلى لونه .

ح - «حسام» من حسم : فصل ونزع ، «فيصل» من فصل ايضاً أثناء الضرب «قاطع» بالنسبة إلى حده ، «ماض» سريع النفوذ في الضرب . «صقيل» : بالنسبة إلى شكله (من صقل) . «باتر» و«بتار» من بتر : قطع بشدة . «أبيض» بالنسبة إلى لونه . «ذكر» بالنسبة لصلابته وفعله .

لم تلمس على العجم صور الكلمات الشعرية فقط فتبدو لهم باقظاءها عن خيالها المرئي مترادفات ، بل إن العادة ايضاً تفقد الكلمات روتها فتمسى هذه حتى في نظر أبناء الأمة أنفسهم باهتة .

وهالك بعض الأمثلة التي هي أكثر استعمالاً : «إبن» من «بني» (البناء ، والبنيان) . و«أخ» ، من «آخ» ، الصوتية ، البيانية ، وهي

تشير الى البنيان الرحمانى المشترك (structure sympathique) وخصوصاً بدور هذا البنيان فى الألم المشترك اكثر مما هو فى الفرح المشترك ، و«عم» من «عم» الشيء : شمل الجماعة كلها . والمومة الجماعة الكثيرة . و«خال» من «خال» فلان على أهله : تدبر أمرهم «وتحول» فيه الخير توسمه ، و«جد» من (جد) فى أعين القوم عظم ، و(جد) كان ذا جد أي حظ ، و (جد) : صار جديداً ، و«صهر» . من (صهر) الشيء أذابه وانصهر فيه . و «الكنة» من «كن» الشيء سره وغطاه واخفاه وصانه و«الحم» من «حمي» والآنسة ، والانسان ، من الأنس (من أنس) . وعانس ، مقابل لها من (عنس) و (الزلمة) (Mannequin) من (زل) ، تفيد هذه الكلمة الهيئة والقد ، (الأزلام : الأصنام) . وكلمة (رجل) من (رجل) وهذه من (رجل) : تفيد القوام . فتشير هاتان الكلمتان الى انحدار العربي نحو القيافة والهيكل وتجرده من الخصال الأساسية للانسان ، بينما ظل المجتمع مقراً للمرأة وهي وفيه لراث الاجداد بميزتها هذه فاحتفظ لها بالكنية المشتقة من «المروءة» .

الفصل الخامس

نمو اللسان العربي

ينمو كل كائن حي بفرع الخلية الاولى والمولدة ، وبتلازم هذه الخلايا المتفرعة عنها وبانسجامها (تحقيقاً لما انطوى عليه رشمه (من رسم من مصمم) تلازماً في مراحل تطور الكائن ، وانسجاماً بين أنسجته المتنوعة ، واعضائه المختلفة ، رغم ما يدخل فيها ظرفا الزمان والمكان من تفرقه .

فكيف يواصل هذا الرشم نومه مطرداً فينتهي عند الشيخوخة بالصورة التي تتجلى عنها الصفات الخاصة بنوعه كاملة ، لو لم تتقدم على تجلياته المتفرقة في المكان والمتابعة في الزمان ، وحدة حيوية ، يعكس الزمان على المكان نمط تحققها ؟ ..

وكيف يحتوي هذا الرشم من حيث هو مندرج في المكان على هذه الصفات المتحققة عند استكمال شروط الشيخوخة فيكون قد احتوى على

ما يتعداه ، لو لم تكن هذه الصفات ملازمة المعنى المتجلي في الكائن ؟
هذا المعنى ، وهو فوق المكان وقبل الزمان يصطفي تجلياته وينسحبها
عند اندراج مدادها (بدنها) تحقيقاً لوجهة نظره في الوجود . فيستمد
هذا الكائن نسغه (القوة ، والنور ، والفرح) ومصممه ، من حيث يتجه
نحو الملاء الأعلى ، ويستعير من الطبيعة بطريق الغذاء ، القدرة اللازمة
لنفتح مخطط بدنه تحقيقاً لهذا المصمم .

كذلك هي الأمة البدائية ، إذ تبدو كافة مؤسساتها (عرفها وعاداتها
أخلاقها وتشريعها ، فلسفتها وديانها فنونها .. وحتى مخطط أبدان بنيتها)
متلازمة رغم تواصل تقدمها في الزمان ، وفتحها الفسيح في المكان ،
فتعبر تجلياتها هذه أيضاً عن وحدة سماوية (متباينزيكية) قد انطوت
عليها نفوس أبنائها الصادقين عنها والحاملين نزعاتها ، منها يستمد بنوها
نسغهم وعنها يقتبسون مصممهم المشترك هذا المصمم الذي بالتجربة ،
يكشف عنه ، والصور المقتبسة عن الطبيعة وبالخيال المقتبس من هذه
الصور يتحقق .

بينما يتم نمو بدن الكائن الحي ، في وحدة من الزمن (unité de temps)
وحدة معينة ومحددة يتفاوت فحواها بتفاوت درجات الأنواع .
فؤسسات الأمة تتقدم أبداً ، متحررة مما يقتضي تلازم مظاهر

هذه الوحدة من تجاوب في بنيان هذا الكائن ، وهي بذلك كشجرة
سحرية توصل نورها ، جذورها من السماء ، وما الطبيعة إلا حدود
تجلياتها الملقاة على المكان .

وإن أنسجة هذا البدن وأعضائه تتميز عن تلك المؤسسات بحيث
أن الشكل (L'organe) في الاولي ملتبس بوظيفة (La fonction) فيخضع
المعنى لضرورات المادة عندما يستخدمها أداة الأربه ، مع أن الصور أي
الثقافة (La culture) في المؤسسات الاجتماعية تنفصم عن الاداة (outil)
أي المدنية (civilisation) إذ تأخذ الثقافة في الحياة الانسانية اتجاهاً منفصلاً
عن المدينة ، بحيث تصبو في الاولي كافة نزعات النفس ، على اختلاف
درجاتها في العمق ، إلى التحقق تحقماً كاملاً بينما تتجه المدنية نحو العالم
الخارجي فتحاول ان تجمل فيه المادة ، وتقصر المسافات ، وتوفر بهذا
التقصير الجهد اللازم لاجتيازها فتقرب عندئذ حالة الطبيعة بالنسبة
الانسان من حالة بدنه ملخصها .

وإذا كانت المدنية متجهة نحو السيطرة على المادة فالثقافة تبعث في
النفس عند استجمامها بالوحدة التي انبثقت عنها حية ومستضيئة بنور
الوجدان ، فيرتقي الانسان بهذا البعث من الطبيعة إلى الملاء الأعلى .
فاللسان العربي من حيث تتلخص مؤسسات الأمة وتعدل بما تشير إليه
كلماته من اتجاهات ذهنية أصيلة هو نفساني النشأة واجتماعي النمو .

تُكشف مفرداته (Vocabulaire) عن هذه النشأة وتشير قواعده إلى ذلك النوع .

ولئن كانت المصادر حدساً في بنيان الوجود فهي تتحول باندماجها في الوجدان إلى فعالية نامية فتحصل منها الافعال ، وما الاسماء إلا ظل هذه الحدس ، الملقى على المكان .

فن خر مثلاً (وهي صوت الماء خرخر) يحصل : « خَرَّ » سقط من علو إلى أسفل ، « خرب » : هدم (تأثير الماء في الأشياء) ، « خربق » الشيء ، قطعه ، « خرت » : ثقب ، وضدها « خرد » لم يثقب أي هو بكر بعد . « خرج » : برز ، « خردل » اللحم : قطع أعضائه . « خرز » الجلد : ثقبه . وضدها « خرس » أي انعقد لسان عن الكلام . « خرشه » خدشه . « الخرشفه » تفيد نفس التعبير (en relief) . « خرص » : حذر وقدر . « خرط » الورق : قشره عن الشجرة . « خرع » : شقه . « خريف » فسد عقله من الكبر . « خرق » الثوب : مزق . « خرم » : ثلم ، ثقب . « خرش » ، « خرفش » ، « خرنف » ... وكل هذه الأفعال تنطوي على نفس الحدس الاصيل ، وما حصل الاشتقاق منها إلا تعبيراً عن المعنى المتفرع من تجاوب هذا الحدس مع الصور التي تحمقه .

وهاك مثلاً آخر حيث يتوضح الحدس خصوصاً في اتجاه البنيان

الذهني، فن «بت» : قطع يشتق : «البتكة» : من الشيء : الطائفة أو القطعة . ومنها «بتل» الشيء ،قطعه وأبانه عن غيره ، ومنها «البتول» و «البتولة» ... ولكن هذه الصورة المدادية البيانية تزدهر في الاتجاه الذهني : «بدد» الشيء : فرقه . ومنها أيضا «بدأ» الشيء : برأه (créer) و «البديء» (l'original) ، «المبدأ» (Le principe) .
ومنها أيضاً : « بدع » أي صنع لاعلى مثال « البدعة »
(Le chef d'oeuvre) ، و « البديع » : (Le créateur) ومنها أيضاً : بدّه
(surprendre) ، و «البداهة» (l'évidence) و « البديهي » (l'évident)
و «المبدّ» : (l'improviste)

ومنها باتجاه الحس ، «بدأ» : ظهر . و « بدحه » بالعصا : ضربه .
و «بدن» ، و «بدر» ، «بدغ» الجوز أو اللوز : كسره . و «بدل» الشيء
اتخذ عوضاً عنه .

ولما كان نمو اللسان يحصل من اشتقاق الكلمات بتجاوب الحدس مع
الصور الحسية ، اشتقاقاً تبدو فيه أولاً : زعة المعنى الموجهة (قوام أسرة
الكلمة ، والتفكير العضوي (pensée organique) وثانياً : الصورة الحسية
المحققة لتجليات هذا المعنى (التفكير بالتداعي^١ والصور الشعرية) ، فإن
الأمثلة التالية تكشف عن هذه النظرة وتوضحها :

«شعر» من (شع) ، (sentir) و«شعور» (sentiment) و«مشعور»
 [senti] و«المشعر» و«المشاعر» [sentimentalité] و«المشعار» sentimental
 وصورة «شعر» الحسية هي «شعر» و«أشعر» نبت عليه الشعر .
 فالشعور إذاً ينبثق من النفس كما ينبت الشعر من الجذ ، والشعر إن هو
 إلا عبارة الشعور ومنها الشاعر و«الشعور» من يتكاف الشعر ، والشعار
 . [l'emblème]

وإليك مثلاً آخر : «فك» (من فق في الاتجاه الحسي) فك الشيء :
 فصل بعضه عن بعض ، «إنفك» : انحل . (وفي الاتجاه الذهني : «نك»
 الرجل : حمق في استرخاء «تفكك» : مشى مشية خلاءه . «الفاك» :
 الاحمق جداً ، الهرم ، فالترأخي والبله يعبران عن نفس النظرة من وجهتين
 مختلفتين حسية وذهنية ونفس النظرة في «الخلع» [l'imbécilité] ،
 «الخولع» [l'imbécile] ، و«الخلع» ...

هكذا يبدو وتلازم المعنى بالصور ، وبنمو هذه الأخيرة يتوضح المعنى
 وعلى الخصوص في الامثلة التالية : «أصل» ، «أثل» «أسل» ، «بسق» ، «بثق»
 «بصق» ، «حث» ، «حس» «حص» ، «نفت» «نفث» ، «نفس» «نقص» ، «بت»
 «بث» ، «بس» ، «درع» ، «ذرع» ، «زرع» ، «ضرع» ، «جهد» ، «جهض» ، «بدع»
 «بضع» ، «الابطع» ، «جم» ، «قم» ، «كم» ، «لسن» ، «لغا» ، «لفظ» ،

«سرى»، (ثرى). وبالأضداد: (الظل) هو الفياء والقيظ. (أفرح)،
 (غم)، وبالتركيب أيضاً: (سرمدية) من سرى، ومدى؛ (عمرم) (عمرم)
 (الهزروف)، (الهزلول)، (عندل)، (عندليب)، (عناك)، (عناكبوت)
 (عنج)، (عنجرم)، (خرطيل)، (شك) و (شربك) . . . الخ. وبإبدال
 الحركات: (كش): (مسك)، (كشش). شجع، (كشش) كان مسرعاً
 ماضياً. (منع حرم)، (منع قوي واشتد)، (عقر) جرح، (عقر) عقم
 (عقر) دهش.

الضائر

يكشف تحليل الضائر بدقة فائقة عن نشأة هذا اللسان النفسانية
 وهو يكشف أيضاً عن بنيان المجتمع العربي المتبلور في تحولات هذه
 النشأة أي في نموه فيوضح نظرة العربي المثالية (idéaliste) في العالم،
 (من وجهة نظر المعرفة بالطبع) بحيث أنه يدرك الكون خلال وجدانه
 وإن تعينت خطوط سيء هذا الأخير بضرورات الكون إلى حد ما.

• • •

| | | الجنس | | |
|---------|---------|---------|--------|------|
| | المؤنث | المشترك | المذكر | |
| العدد | الشخص | أنا | أنا | |
| المفرد | المتكلم | أنت | أنت | |
| | المخاطب | هي | هو | |
| التثنية | الغائب | ... | ... | |
| | المتكلم | ... | ... | |
| | المخاطب | ... | أنتما | ... |
| الجمع | الغائب | ... | هما | ... |
| | المتكلم | ... | نحن | ... |
| | المخاطب | أنتنَّ | ... | أنتم |
| | الغائب | هنَّ | ... | هم |

يبدو في هذه الضمائر أولاً ان حرفي «ن»، «ه» هما أساسيان ،
فقتضيات الجنس والعدد والشخصية قد أدخلت عليها التعديلات المذكورة
«ن» في التكلم والمخاطب و«ه» في الغائب .

إن حرف «ن» بالاصل من «ن» الصوتية البيانية التي حصل منها
أفعال: (أن) و(عن) و(حن) .. وأما الهمزة المضافة إلى ضمير المتكلم «أنا»
فقد كانت بقصد الحركة ، وكذلك حرف «الف» الذي ينتهي به هذا

الضمير ، وهو بالاصل «أنه» تمييزاً عن «أن» وتحريكاً للكلمة ، وهي قد استعملت على هذه الصورة في الشعر القديم .

وأما ضمير المخاطب «أنت» فقد حصل من «أنا» المتكلم بإضافة حرف «ت» إليه ، إذ أن هذا الحرف من أخوات «دا» «ذا» ، عبارتي الإشارة ، فهي تعني إذاً «أنا» بإشارة إليه ، (أي المخاطب) . وما تحريك «التاء» على الكسر في المؤنث إلا بياناً عن النسبة أي نسبة المرأة للرجل و «أنتم» في مخاطب المثني قد حصلت من جمع المخاطب «أنتم» ، وذلك بإضافة (الاف) إليها ، الحرف الذي يفيد المقابلة أو الاشتراك ، ضاربٌ ، في الفاعل ، وضاربٌ . في فعل المشاركة)

وأما الجمع «أنتم في المخاطب فقد حصل بإضافة (م) إلى المفرد في المذكر ، و(ن) إلى المفرد في المؤنث ، بياناً للحدس في العدد ، وتميزاً في الجنس ، وكلاهما متقاربان من التنوين ، ومن علامة جمع السالم الحاصلة عن هذا التنوين وحركة التثنية بقصد الانسجام مع العدد ، وما الشدة في (ن) النسوة مع الحركة التي تعتمدها إلا تعبيراً عن التفضيم والركون . فجمع المتكلم «نحن» حصل بادمج «ح» بين النون الأصلية ، ونون الجمع تمييزاً لهما مع الانسجام في بيان العدد . فحرف «ن» علامة الجمع تشترك مع المؤنث بلفظها ومع المذكر بحركتها (الضم) ...

فجمع المتكلم «نَحْنُ» حصل بإدماج «ح» بين النون الأصلية،
ونون الجمع تمييزاً لهما مع الإنسجام في بنيان العدد. فحرف «ن»
علامة الجمع تشترك مع المؤنث بلفظها ومع المذكر بحركتها
(الضم) ...

وأما حرف «ه» فهو ندائي الأصل، من «هُوَ» (المخففة بـ
«هُوَ» اللفظة العامية لضمير الغائب المذكر، و«هي» للمؤنث)
وحرف (و) للتجانس مع «ه» كما أن حركتها على الفتح إنما هي
بقصد الأيقاع.

وإن «هي» حاصلة من المذكر، وبالنسبة إليه، أي أن حركة
الكسرة ومفخمها حرف «ي» كلاهما يفيد النسبة، وهنا زيدت
«ي» للتجانس مع حرف «ه»، وكان تحريكها على الفتح بقصد
الإيقاع أيضاً.

كذلك «هما» ضمير المتني الغائب، فإنه حاصل من «هُم»
ضمير الجمع، بإضافة (ألف) بياناً للتثنية، كما أوضحنا ذلك في
متني الخطاب.

و«هُم» جمع الغائب المذكر حصل من «هُوَ» بإضافة (م) و

« هُنَّ » باضافة « نَ » المشددة على نفس الطريقة التي تكون بها جمع المخاطب ..

ثانياً: لقد ميز الذهن العربي ، كما بدا ذلك في التحليل المتقدم ، الجنس ، والعدد ، والشخص ، (من حيث هو حاضر : متكلم ومخاطب وغائب) ...

أما الجنس فبنقسم إلى مذكر ومؤنث (فيدخل هذا الذهن تحت طائفة الحياة كافة الأشياء) هذا التسميم يتجه في معنى الفعالية (actif) أو الركون ، (passif) وهو ينسجم مع تقسيم الزمان إلى مضارع وماض والأسماء إلى فاعل ومنعول ، ... وإن تشكيل المؤنث من المذكر باضافة الكسرة التي تدل على النسبة من جهة ، واقتصار التثنية في « هُمَا » و « أَنْتَا » على شكل المذكر ، وخصوصاً فقدان التثنية في المتكلم من جهة ثانية ، كل ذلك يشير إلى تفوق الرجل على المرأة في بنيان المجتمع العربي : (الرجل قوامون على النساء) .

وأما العدد فيكشف لنا أولاً عن تكون الفرد عن الطبيعة (أنا وهُو) ثانياً، حصول الجموع من المفرد (أنتم ، هُمْ) ، ثم حدوث التثنية عن الجمع : أنتما هما فيؤخذ من هذا الكون ان الشخص كذات متفوق على الجمع الحاصل من صورة ذهنية (تبرز جموع التكسير بوضوح أشد هذه الناحية) ، وان المنى ،

عدا عن أنه متأخر بالظهور عن الجمع ، فهو يكشف عن بنيان الزواج
الأصيل للمجتمع العربي ، وما تعدد الزوجات الا حالة شاذة ودخيلة
على العرب .

وأما الشخص فانه ينقسم إلى فصيلتين الحاضر والغائب : الأولى
من (أنا) البيانية الأصل ، والثانية (هو) الندائية ، تفيد البعد وباتجاه
الذكرى فتلبس بالأشياء .

ثالثاً : إن الضمير وإن دل على الاسم فهو بالحقيقة يتقدم عليه من
حيث الظهور لأن نشأته انسانية ، وهي مستوحاة من تجربة بدائية ،
وطبيعية .

رابعاً : يدل الضمير ، بالأصل ، على نزعة الانسان إلى استعمال
الرموز ، أي اختصار الصور البيانية واستعمال الجزء بدلاً من الكل .

« التصغير »

تنطوي القواعد العامة أيضاً على ما يكشف عن الذهنية العربية
في اتجاهاتها الفنية والاجتماعية والفلسفية ...

فالتصغير مثلاً ، وهو تقدير سخري (appréciation péjorative)
يجيب به الذهن على الأشياء فيلقي عليها بهذه الإجابة هائلة من العواطف
تتكيف بحسب طبيعة المسمى المصغر .

والتصغير، بذلك، نفساني وإضافي فيكاد يشتمل نطاقه على
كافة المسميات: الأسماء، الصفات... حتى أسماء الإشارة ومشتقاتها
والضمائر النسبية، وأفعال التعجب، والأعداد...

وعبارة التصغير إنما هي إضافة حركة ضم إلى الحرف الأول من
المسمى^(١) وذلك بياناً للفاعلية (فإدغام ثاني حرفٍ منه على الفتح مع
(ياء) إضافيةً مثلاً (نهر^٢): نُهَيْرُ فالتعديل الحاصل في بنية المسمى:
حركة الضم، ياء النسبية، الفتح (بياناً للكون)، الإدغام، كلُّ
ذلك يدلُّ على فعالية خانت فيها الغاية بدايتها فتتخلصت. وتلك صورة
فنية عبّر بها الذهن العربي عن إحدى نزعاته السخرية.

وبياناً لإضافية هذه الصور، وقف التعديل الحاصل في بنية
المصغر عند حرفيه الأوَّلين في الثلاثي: (مثلاً: «رجل»: رَجَيْلٌ
«كلب»: كَلَيْبٌ) محتفظاً بالحرف الآخر مع الإعراب.

ولمَّا كان التصغير إضافياً تحكّم حرف (ي) أو مخففها حركة
الكسر اللذان يعبران عن النسبة في توجيه حركات المسمى أو تعديل
حروف العلة: («ناب» نَيْبٌ، «عقرب» عَقْرِبٌ، «عصفور»:
عَصْفِيرٌ):

«الثلاثي» على وزن «فعليل»، «الرباعي» على وزن «فُعَيْلِ»

« والخامس » على وزن « فميعل » (إذا كانت رابع حرف فيه علة
ينقلب الى « ياء ») : « مفتاح » : مفيتيح .

وتبدو نزعة الذهن العربي الفنية خصوصاً في التعديل الذي
أدخل في بيان الكلمة الصوتي حفظاً للايقاع : فإذا كان الحرفُ الثاني
من المسمى « ياء » تبدلت حركة الحرف الأول من ضمٍّ إلى كسرة :
« بيت » ببيت ، « شيخ » : شَيْخ .

وللضرورة نفسها أيضاً أباح هذا الذهن إضافة « ياء » إلى ما قبل
الحرف الأخير في المصغر المبتور رمزاً إلى الحرف المحذوف : « عنكبوت » :
عنكب « سفرجل » : سفيرج .

ومن أجلها كذلك ، أبح حذف « ياء » التأنيت في الخامس
فموض عنها بـ « ياء » مندمجة في صلب الكلمة قبل الحرف الأخير :
« حبارى » : حُبَيْر .

وبسببها أيضاً ، تحول أحد حرفي العلة إلى « ياء » وسقط ثانيهما
إذا انتهى الرباعي والخامس بهما .

* * *

تكشف هذه الأمثلة عن مرونة الذهن العربي بالاضافة إلى
نزعة الفنية ، فيكيفها حسبما تقتضي أحكام البيان مشيرة بذلك الى

أن الشكل ينفع لبدأ تلازم الصورة مع المعنى (راجع المنظومة الصوتية).

وإذا كان التصغير حالة إضافية، ملقاة على المسمى فقد احتفظت فيه الكلمة بشكلها الأصلي «ازرق»: ازرق، «معطف»: معيطف.

وحتى الحروف الملحقة بالإسم، اذا دلت على المعنى الأساسي، فانها تبقى أيضاً: مثلاً. علامات التأنيث («ء»، «ي»، «ة»). «طلحة»، «طليحة»، «حُبلى»، «حُبَيْلى»، «صحراء»، «صحيرا»، و«ياء» النسبة «عُبْقري»، «عُبَيْقري»، و«النون» في جمع المذكر السالم «مُسامون»، «مُسَيْلمون»، و«نون» التثنية «مسلمان»، «مُسَيْلمان»، و«التاء» في جمع المؤنث السالم «مسلمات»، «مسيلمات»، و«النون» في الأعلام «رضوان»، «رُضَيَّوان»، وفي الاسماء «زعفران»، «زَعِيفران»، «افعوان»، «أَفْيَعَوَان»، «سكران»، «سَكيران».

وبالتصغير ترجع الكلمة الى شكلها الأصلي فيبطل عنها حكم القواعد الصوتية السابقة، اذ ان ضرورته قد زالت.

(١) يفك الإدغام «تل» «تليل» قيمة قيمة

(٢) يُعاد حرف العلة الى أصله (باب) بُرَيْبُ ، (ناب) نُيَيْبُ ،
(٣) يبعث الحرف المحذوف ، (جدة) وجيدة ، (شية) وشية
(أب) أبي ، (أم) أميمة ، (أخت) أخية ، (شمس) شميسة .

(٤) يحذف الحرف المضاف : (ابن) بُني ، (اسم) سمي ،
فهذه القاعدة تكشف عن نزعة الذهن العربي الى الأصل ، الا اذا دعت
الحاجة حرصاً على بيان المعنى الفني ، فيدخل عليها حينئذ تعديلات
سواء بالاضافة أم بالتعديل (سما) سمية ، (ماء) موية وموي ،
(شاة) شوية ، (شفة) شفية (أصل) أو يصل ، (شاعر) شوير ،
(رجل) رويج ، (دخان) دويجن .

هكذا يتوضح الذهن العربي وينمو اللسان من تجاوب نزعتي
المعنى . نزعته نحو الأصل فالاستقرار ، ونزعته نحو التسامي (بتحقيقه
الشكل الاكمل adequate) فالإبداع والإيجاز انما هما احدي نتائج
هذه النزعة الفنية .

فالإيجاز في التصغير يتناول الحروف التي تزيد عن الرباعي
وإذا كانت هذه الحروف متفاوتة في القيمة بالنسبة لمعنى الكلمة ، فإن
الاصطفاء يتم فيها :

أولاً: (في الاسماء الصحيحة) حذف ما بعد الحرف الرابع «سفرجل»
سفيرج ، عندليب : عندل ،

ثانياً: بحذف الحروف الاضافية : « استبرق » : أبرق ؛ إلا إذا
تساوت الحروف فيتم صرف الذوق ، عندئذ ، تصرفاً مطلقاً «حجرش»
حجير ، وحجيرش .

وإذا ما تبين عمل التصغير السخري مع طبيعة معنى المسمى
بدا اتجاه هذا الأخير بأكثر وضوحاً : « بني » ، « أخي » ، أي
(الحنو) ؛ « دويبية » ، « الدهبياء » ، « سنية » ، (الأحسن)
صديق (الصديق الممتاز) .

يبدى الذهن العربي في الأمثلة التالية دقة فريدة بحيث أن
جموع القلة (على وزن « فعلة » و « أفعل » و « أفعله ») بحسب
طبيعتها تنزع إلى المفرد كغاية : « ولدة » : وليدة ، « كلب » :
أكيلب « أعمدة » : أعمدة ؛

بينما تخضع جموع الكثرة في تصغيرها إلى جمع المذكر : « شاعر » :
شويرون ؛ « دور » : دويرات .

ان الأسماء التي تجمع على القاعدتين تقبل التصغير على القاعدتين
أيضاً : « فتيّة » و « فتيون » .

النسبة

إذا كان التصغير يكشف عن نزعة الذهن العربي الفنية، فالنسبة، بالإضافة إلى هذه النزعة، تظهر خاصة طابع المجتمع العربي في مرحلته: الأصلية الانبثاقية، وانحداره الراهن نحو الشكلية... لم يخص هذا الذهن أسانه بصنف معين للنسبة فحسب بل إنه قد ميز فيها درجات مختلفة وعبر عن كل من هذه الدرجات بعبارة طبيعية.

ولما كانت حركة الكسر - وهي؛ بحسب مخرجها، تحصل بكسر الشفتين وعودتها نحو المتكلم - عبارة النسبة الطبيعية. وما إلباء إلا مفخم هذه الحركة. فقد خصها هذا الذهن بالنسبة بياناً لها. فإن بدت الكسرة معبرة عن الحالة العرضية فالإباء - مفخمها - تفيد، إذن، استقرار هذه الحالة.

وإذا ما اندمج هذا الحرف أو تلك الحركة في صلب الكلمة فإنها يعبران، عندئذ، عن حالة منبثقة من ذات المفهوم، ولكن بصورة عرضية بالكسر، ومستقرة بالإباء، حسب بي - إن كل منها « نبيه » و « نبيه »، « فهم » و « فهم »، « فرح »، « علم ».

وعندما تنسب الحالة إلى المفهوم من الخارج تلحق به عبارتها

أيضاً: «كسرة» في الجر (وهي حالة عرضية تتعلق بوظيفة الاسم في الجملة) و «ياء» في النسبة: دمشق: «دمشقي»، أرض: «أرضي»...

ولم يقف الذهن العربي عند هذا التمييز ولكنه أدرك نزعة الحالات إلى النمو بتطورها فعبّر عنها بحرف أو أكثر مشيراً به إلى اتجاه نموها: جسم «جسماني»، نفس «نفساني»، روح «روحاني» نور «نوراني»، شعر «شعراني»، أذن «أذاني» (ذو أذنين طويلتين) أنف «أنفاني» (متضخم).

وتبدو هذه النزعة في اتجاه النمو بوضوح أشد وخصوصاً في الصفات: أحمر «أحمري»، أصفر «أصفري»، أخضر «أخضري». ولئن كانت النسبة تعود إلى المفهوم ذاته، فإن عبارتها «الياء» تلحق بأصل الكلمة المعبرة عنه فتحذف الحروف المضافة إلى الأصل أو يبعث بها إذا ما حذفت منه سابقاً.

أولاً: تحذف علامات التأنيث: مكة «مكي»، شيعة: «شيعي»، حباري «حباري».

ثانياً: تحذف «ياء» اللاحق: حبركي «حبري»، قبعثري: «قبعثري».

ثالثاً. - تحذف علامات الجمع والتثنية : مسلهون « مسلمي »
هندات « هندي » ، الحرمات « حرمي » ، فرائض « فرضي »
صحائف « صحفي » .

رابعاً. - تحذف « ياء » النسبة المندمجة سابقاً في الكلمة : جزيرة
« جزري » ، فريضة « فرّضي » ، مدينة « مدني » .

ورعاية لبدأ الاصلة ، تبعت عند الحاجة الحروف المحذوفة من
الكلمة : يد « يدوي » لثة « لثوي » ، عدة « وعدي » ، شفة « شهنبي »
حي « حيوي » .

حتى أن هذا الذهن ليتدعى حدود البعث الى الابداع

فن كي « كيوي » ، ومن ما « ماوي » و « ماهي » ومن لا
« لاوي » .

وعندما يتعارض وضوح المعنى مع الأصلة ، يؤثر الذهن العربي
المعنى على القاعدة . فن أخت : « أختي » أو « أخوي » ، ومن بنت
« بنتي » أو « بنوي » ، طبيعة « طبيعى » و « طبعي » ، « مدينة » :
« مدني » و « مدني » .

أما عندما تدعو النزعة الفنية الى بعض التعديلات على هذه القاعدة
العامّة ، فإن هذه التعديلات تجري حينئذ باتجاهي الرشاة والايجاز على

أن يحتفظ المعنى بوضوحه : مُلِك « مَلِكِي » ، كَبَد « كَبَدِي » ،
طِي « طَائِي » ، فَتَى « فَنَوِي » عَصَا « عَصَوِي » ، بِيضَاء « بِيضَاوِي » ،
سَمَاء « سَمَاوِي » ، أَمِيَّة « أَمُوِي » ، سَقَايَة « سَقَائِي » شاه :
« شَاوِي » و « شَاهِي » .

وفي الرابع يصح الاحتفاظ بحرف (ي) الرابع اختيارياً : ملهى
« ملهي » و « ملهوي » ، معنى « معني » و « معنوي » .
وأما الخامس فيحذف الحرف (ي) الخامس اضطرارياً : مصطفى
« مصطفي » .

النسبة بين مرحلتين

في المرحلة الانشائية كان الذهن العربي يقتصر على الاسماء
والصفات في انشاء النسبة .

وعندما أخذ هذا الذهن يتجوف عمت النسبة بتحقيق [réalisation]
كافة الاشكال فن (لو) : (لوي) أو (لووي) ومن (كم) : (كهي)
ومن (ماهو) : ماهي ...

وفي تلك المرحلة الانشائية كانت تتميز أسماء الاعلام العربية عن
الأسماء الأعجمية : وهذه الاخيرة كانت تخضع لكافة التحولات التي
يستنسبها الذوق العربي ، والاعلام العربية وحدها وهي التي كانت

تحتفظ ابدأ بشكها، الا في الأسماء المركبة، نخبياً للمركبة، فتلحق
 النسبة باحد مقطعيها فقط: كلاب (كلابي)، المدائن (مدائني)،
 الأعراب (اعرابي)، عمران (عمراني)، زيدون (زيدوني).
 وفي الأعجمية: (سجزي) من سجتان، (اصطخر رزي) من
 اصطخر، (رازي) من الرّي.
 وفي الاعلام المركبة: (برقي) من برق نجره، (أنفي) من
 أنف الناقة...

ولكن عندما انحدر هذا الذهن طمست عليه الفوارق بين الأعلام
 والجنس، وبين الأصيل والدخيل... والتبست عليه الركابة بالرشاقة
 حتى انتهت بالعامية فن مصطفى: «مصطفوي» (الركابة) ومن دواة
 (دواتي)، ساعة (ساعاتي) [اهمال الاصلة] لوى (النسبة الى
 شكاه)، (رامي): هر مزي) .. الخ.

اسم الكيفية

كنا قد أوضحنا في بحث النسبة الحدس العربي بتمييز الصفة أو
 الحالة المنبثقة عن ذات المفهوم، من الصفة المنسوبة اليه. فقد عبر الذهن
 العربي عن حدسه في الحالة الأولى بالكسرة أو مجرف الياء مفخم
 الكسرة مندججة في صلب الكلمة. وعبر عن الحالة الثانية باحدى هاتين

الحركتين إلا أنها ملحقتان بالكلمة . وكسنا قد أُلحنا أيضاً إلى أن هذا الفرق ليكشف عن اتجاهي البنيان النفساني ، أي الانبثاق والتلازم . انبثاق في الحالة ، وتلازم في النسبة ، بحيث تتوضح الحالة المنبثقة ، فتحقق (النهج التحليلي) .

والمعرفة وان ابتدأت بالتلازم فهي تنتهي بالانبثاق غايتها (البصيرة) فتسير بذلك على عكس نط الوجود . وإذا كان الخيال يحصل من انعكاس الأشعة المنبعثة عن صورته ومن تحدد هذه الأشعة في المرآة ، فالأشياء والطبيعة المتألفة من هذه الأشياء ، هي أيضاً خيال الحقيقة المنطوية عليها فتوسنا . ولكنه على عكس السابق خيال يحصل من تحقيق امكانيات عامنا وعملنا في الكون .

وإن كانت المرآة توقف الأشعة ، فالكون يكشف بالنسبة للنفس عن الوجود ويحققه . وهذه الامكانيات وان بدرت من فوق المسكان موحدة فهي بتحققها تبدو من خلاله متفرقة ، وذلك بتلازم حصولها مع حدوثه (أي المكان) فإذا ما استجمت هذه الأشعة « الامكانيات المتجلية » في وحدة ادراك « بصيرة » انقشع حينئذ حجاب المكان وزال الافتراق فسطعت آية [idée] الطبيعة حقيقة في النفس . وان النفس لتنمو بتجاوب قطبيها ، الخيال وآيته أو الطبيعة ، والملا الأعلى . أما

الفكرة المجردة فكائنة بين الخيال والآية . إذ أنها تقتبس عن الأول عناصرها وعن الثانية وحدتها وقد خص الذهن العربي بعبارة الفكرة المجردة اسم الكيفية . (فأنشأه من النسبة بإضافة (ة) الى آخرها) فأشار بذلك الى تولدها مع المكان وتبثتها فيه .

فن عقل ؛ مثلاً عقلي ، عقلية ، ومن ذهن ، ذهني ، ذهنية ، جسم ، جسماني ، جسمانية ، روح ، روحاني ، روحانية .

اسم الظرف

المكان والزمان : Espace et temps : لقد انشأ الذهن العربي من المكان والزمان ظرفاً مشتركاً فعبّر عنها بصيغة واحدة ، وشمل بهذه الصيغة اسم المصدر أيضاً : مَصْرَع ، مطعم ، منهل ، مرفق ، مقام ، منجى ، مثوى .

يبدو من هذه الأمثلة أن هذه الصيغة قد انشئت من الماضي الثلاثي بإضافة (م) الى الحرف الأول منه مبنياً على الفتح وبتحريك الحرف الثاني منه على الفتح دائماً في أسماء المصدر والمكان والزمان المشتقة من الافعال التي يتحرك الحرف الثاني منها على الضم أو على الفتح فقط . . . أما اذا تحرك هذا الحرف في الفعل على الكسر فيتبعه

اسم الظرف بحر كنه (مع الاحتفاظ بما تقتضي الضرورة الصوتية، أي قواعد الاعلال) .

ان نشأة هذه الصيغة من الماضي واقترابها بالشكل من اسم المفعول اقتراباً يتحول الى مماثلة تامة في الافعال التي تزيد عن الثلاثي ، مُلتقى مُتدحرج ليكشفاً لسا عن التباس المصدر بالزمان والمكان في ذهن العربي وتغلب طابع المكان عليهما « بناء الماضي على الفتح يدل على اندراجها في المكان) وتبدو هذه النزعة بوضوح اكثر في الحالات التي تحددت فيها هذه الاسماء ب (ة) التي لها علاقة بالمكان نحو ، محمداً ، مذمة ..

وان تشكيل هذه الصيغة من كل فعل ليدل على التباس فعالية الذهن العربي الخاصة ، بهذا الاطار العام وحصول اسم المختص أو المحل (من حل) من هذا الالتباس .

ويشير الذهن العربي بالفرق بين ملازمة حركة الفتح الثانية لاحد حروف المصدر ، وبين احتمال تبديلها بالكسر في اسمي الزمان والمكان (اذ قد يكبرن هذا الحرف على الكسر في بعض احوال اسمي الظرف) الى تفوق أنامية otgectivité اسم المصدر على أنامية المكان . ومع ذلك فقد تشترك طبيعة هذه الفعالية الخاصة في تعيين اتجاهات الصيغة . اذ

أن طابع الزمان يبدو متغلباً في الكلمات الآتية ميلاد ميعاد (موعداً)
ميقات . وطابع المكان متغلباً في مشرب واسم المصدر متغلباً في :
مآل ، مذمة .

ولئن اختار الذهن العربي اسم (المكان) أي الاطار العام من كان
(احد الافعال الناقصة والمشتقة بالاصل من كُنَّ أي ستر وحب) فهو
يشير بهذا الاختيار الى اتجاهي حدسه الاطار cadre والحجاب (voile)
لأن المكان كإهية لذاتها (Entité en soi) هو اطار عام للوجود ومحل
اندرجت فيه الفعالية اطار خاص (espace locale) فهو في الحالة الأولى
يتعدى كل حد " illimité " وفي الحالة الثانية متواصل continue وهاتان
الميزتان تكشفان عن كيان قد حصل من نزعتي الذهن العربي الى الحد
الاعظم الممكن infiniment grand والى الحد الأصغر الممكن infiniment
petite وهذا الكيان من حيث استقلاله عن كل صفة يتجلى بها مطلق
ومتجانس homogène .

تفجج النفس بهذا الاطار عن قرارتها . إذ به يتبدى بنيان
فرديتها الذي تتلقى عناصره بجواسمها المتجهة نحو تجلي الوجود : فيشف
المكان بهذا التجلي وتتكشف به حينئذ قرارتها انكشافاً يحصل من
التلاؤم بين هذه التجليات وبين نظرة النفس المختارة في الوجود (علاقة

الفرد ببيئته) ثم يسقط هذا الحجاب اذا ما ارتقت النفس نحو الصميم
فتأخذ المعرفة بالوجود « البصيرة » ارتقاءً يتم باجمال تجلياته المتسامية
بحيث تستغني النفس عن المكان فتصبح سُبُل الصعود معاني متبلورة
في عالم الشهود (الثقافة الانسانية) فيبعث بها الذهن كما تبعث الاجسام
بظلمها المُلقى مرثماً على السطح .

اذا كان تفتح النفس نحو التجلي سبيل المكان فان استجمام هذه
التجليات ايضاً يوجب سبيل الزمان . وقد حصل الظرف في الذهن
العربي من التباس هذين الحدين وما الكائنات (جمع كائن، كائني بالهمزة
تفيد هنا انبعاث الفعالية في الكون مغمشةً بالمكان كالنجوم المحتجبة
بالغيوم) إلا مصادر تستدعي بنزوعها الى تحقق تجليات النفس الى ان
تبدر في الكون موجودات .

ومن زعة كل جلوة الى التحقق مطلقاً (أي الى ان تتكشف عن
المعنى كاملةً) بدا الفرق بالنسبة الى النفس بين الامكان والوجود، فرقاً
يكشف عن تواصل المكان في اتجاهي الحد الأعظم الممكن والحد الأصغر
الممكن ويكشف ايضاً عن التزام النفس منهجاً فنياً في انشاء فرديتها
مستكملة به شروط وجودها، التزاماً قد اوجب عليها التفكير
العضوي والمنظم *organique et systématique* مع الاعراض عن الشطط

في حدود الامكان والتلاش فيها . اذ ليس من العبث ان نفر العربي
من اتجاهي الأبد والأزل حيث يلبس عليه المكان والزمان بما لانهاية
له . فيقال مثلاً : أبدأ الحيوان أي توحش ، أبدأ الشاعر اي اتي بالعويص
من المعاني . أبدأ الأمر اي نفر منه . ويقال ازل اي وقع في ضيق وشدة
وأزله اي حبسه .

فهذا الالتزام قد نتج اذاً عن اختيار النفس سبيلها التي تعبر بها عن
وجهتها في الوجود وعن اصطفاء السبل المؤدية الى تحقيق هذه السياء
حيث تتعين نزعها في اتجاهي التفتح (المكان) والاستجمام (الزمان) .
ولئن استغرقت كافة الكائنات في منظومتها مندرجةً في المكان
فظلت في حاضر دائم (وما اندرج القدر طوعاً الا لمشئة الانسان حيث
بدر في هذا الاندراج المتسامي ما انطوت عليه قرارة الوجود فاهتدى
الانسان بهذا الدور الى سبيل الحرية والابداع الدائم) فهيات ان
يستوعب الواقع (من وقع) الحقيقة ، والحاضر (من حض دعا)
يضيق عن النزعة لذلك يتجه نحو المستقبل حيث تنعكس أمانيه باسمه
تبشر بالمعنى كما يبشر الشفق بالشمس . أما الماضي (من مضي أي قطع)
فهو مقبرة احلامنا المحتنقة في المهدي لذا بدا الزمن (من زم) بالتباسه بالمصدر
قدراً محددًا لا مائناً ومعيقاً لتحقيقها . إذ أن (زَمِنَ) اصابته الزمانه

أي العاهة وكذلك (الزمن) ... والدهر (من دهر) وهو جزءٌ من
الزمان يتضمن النازلة والنوائب .

فحدس العربي في أصل الزمان ، يشبه إذن حدسه في النزعة باتجاه
أمانها (المضارع وعلامة إعرابه الضمة ، وهي تفيد الفعالية والانبثاق)
وباتجاه ظلها الملقى على المكان والملتبس به (والماضي مبني على الفتح وهي
علامة الـكون والاندراج) وليس للتاريخ من معنى في حدس العربي
إلا بالنسبة لهذه النزعة .

لقد أوجد الذهن العربي كلمة أمدود (العادة والسنة) وهي إحدى
مشتقات كلمة مدة ، امتداد ، مادة ، مداد والتعبير عن هذه النزعة لما لهذه
من علاقة بمنظومة الأمدة système de Rythmes التي بها تتحقق .

ولئن كانت هذه النزعة نقطة انبثاق التجليات فإن أمدودها يبدو
محور استقطاب هذه الأمدة (استقطاب قد عبرت عنه العقائد العربية
بالقبة صورة الوجود الحسية) . ولقد يستنفذ هذا الامدود حياة فرد
أو جيل أو أمة بكاملها فيصبح مدار ثقافتها ومبعث كافة مظاهرها
الأصلية . والمبني في هذا الحدس هو المعنى المتجلي بهذه القبة معنى
تبدو تجلياته على درجات متفاوتة في كافة أبناء الأمة .

وعلى شئق النور الحاصل من انبعاث النبوة تتجاوب هذه التجليات

و ترتقى أبناء الامة نحو غاياتها ، وبالبحيرة حيث تتأخذ المعرفة بالوجود
تستغني النفس عن ظرفي الزمان والمكان .

اسم الآله

ملاحظة : ١ -

اقد انشأ الذهن العربي اسمي الآله والوعاء من اسم المكان بابدال
حركة الحرف الأول من الفتح الى الكسر علامة النسبة . فانشأ اسم
الآله من النسبة بين المكان وبين الفعلية المندرجة فيه نحو مبرد ،
مبضع ، مقص .

وانشأ اسم الوعاء من النسبة بين المكان وبين الشيء الموضوع فيه
نحو : محلب « حليب » ملبن « لبن » مئبرة « إبرة » .

وقد تدعو طبيعة المعنى الى تفرع بالبنيان فتتحول حينئذ هذه
الصيغة من مفعل الى مفعلة نحو مبطقة ، مكنسة ، مسرجة . أو الى مفعال
مفتاح ، مشراط ، وقد تفيد هذه الصيغة رسوخ الصفة في الشيء : ناقة
مزعان ، جارية معطار . فتكشف عن علاقة العادة بالمكان . وقد يسقط
حرف « م » من هذه الصيغة فيحصل منها حينئذ الكلمات على وزن
فعال : نحو لباس ، لحاف ، رداء ، كساء ، حذاء .

ملاحظة : ٢ -

إذا تغلبت خاصية الاسم في المصدر الميمي يتوجه حينئذ مفهومه الى التفرد في المكان فيتحول هذا المفهوم الى اسم يدل على الكثرة نحو: مسبعة (مأوى السباع) مذئبة (للذئب) مضبعة (ضباع) مثعلبة (ثعلب) وفقاً لمبدأ الايجاز .

ملاحظة : ٣ -

وإذا تكررت الفعالية في مكان معين تحول حينئذ هذا المكان الى اسم معمل أو اسم آلة نحو : برادة ، كلاسة (كلس) جياصة (جبص) . وتفيد هذه الصيغة للمبالغة ك (علامة) وتبين علاقة الرسوخ والتكرار بالمكان .

ملاحظة : ٤ -

ترسخ كذلك هذه الصيغة بتحددها أو بالأحرى تفيد التحدد العادة والاستقرار يكشف عن علاقتها بالمكان نحو ساقى ، ساقية ، راوي ، راوية .

يتبين من الملاحظات السابقة أن الذهن العربي يرى أن الالة تحصل من تحديد المكان بفعالية خاصة مع اعتبار نسبة هذا المكان اليها .

كنا قد بينّا ، في مكان آخر ، إلتباس اسماء المكان والزمان والمصدر بصيغتها المشتركة ، وكنا قد أوضحنا نشأة الاعداد من هذا الالتباس .

وان كلمة (عدد) ذاتها لتشير الى هذه النشأة والى اتجاهات الحدس في ذات الالتباس ، اذ ان : « عدّ » الشيء : حسبه . « عددت » زبداً صادقاً : أي حسبته وظننته . « عدّد » الميت : عدد مناقبه ووصفها ، « اعتدّ » ، « استعدّ » ، « العداد » : مسّ من الجنون : « العدد » وجع يشتد في اوقات معلومة . فهذه المشتقات تكشف عن اتجاه الحدس نحو الكيفيّة ، بينما الأمثلة التالية تشير الى اتجاه « الكم » : « عدّ » الشيء : احصاه ، « تعدّد » : زاد في العدد ، « العدة » ، « العديدة » ...

وهذان الاتجاهان يبدوان بوضوح اكثر في تعدّد الصّور الصوتية المختصة بانواع هذا الصنف :

(١) اسم الوحدة : تحصل الوحدة من تحديد الجنس الذي تبدو صفاته خلال المكان إفرادياً (distributivement) : « حمامة » . من حمام ، « بقرة » : من بقر ، « بصلة » : من بصل ، « تمرة » : من تمر ، [وقد

استثنى الذهن من هذه القاعدة المصنوعات (إذ ان وحدتها تحصل من تحديدها اصطلاحياً) [وهو قد ميز عنها الوحدة المجردة الحاصلة من اعتبار الصفات ، قرام الجنس ، ذاتها في وحدة ذهنية : « شاعرية » ، « ربوبية » .

وإذا كان الاسم ذا طابع فعلي تحولت الوحدة الى مرة : « قعدة » ، « فرحة » ، « وعدة » ، وذلك بحسب بنيان الصيغة بتداخل الفعالية من تحديدها .

(٢) اسم الجزء : يحصل الجزء من تحديد الكل وبالنسبة اليه « قطعة » ، « حزمة » : « كسرة » ، . . . وعندما ينقلب اتجاه الكيفية يتحول الى اسم نوع : « جلسا » ، « قعدة » ، « طعمة » ، « قتلة » : (قُتِلَ قِتْلَةً سَوْءًا) .

(٣) اسم القلة : وهو على صيغة « فعلة » ذات الشبه بالتصغير بحيث تبرز الحالة : « لقمة » ، « شربة » ، وخاصة في الاسماء ذات الصفة « خضرة » ، « حمرة » .

ولقد خصّ الذهن العربي اتجاه الكم بصيغتي « فعالة » ، و« فعال » : « بُرادة » ، « كُناسة » ، « قمامة » ، « قُصاصة » ، « قُمام » ، « كُسار » . (٤) يبدو ، في التنزيه والجمع ، حدس الحالة (qualité) التي يجيب

بها الذهن على كنهها بفتح صورتهما الصورية . فينتى المذكر باضافة «أف»
ونون « في الرفع و «ياء ونون» في الجر : وهذه الاضافة حصلت من
تحول الحركة الى حرف العلة مضمها و «واو» التنوين الى «النون»
مضمها ايضاً : كتاب : «كتابان» ، «كتابين» ، رجل : «رجلان» ،
«رجلين» ، أمّة «أمتان» ، «أمتين» مؤمنة : «مؤمنتان» ، «مؤمنتين» .
تنتي جموع التكسير، وأشباه الجمع ايضاً اذا ما عنت هذه في اتجاه
التشخيص الافرادي : جماعة : «جماعتان» ، فرقة : «فرقتان» ، إبل :
«إبلان» ، غنم «غنمان» ...

آ - مبدأ الاصلة : يبعث عند التثنية بالحركات والحروف التي
حذفت أو تقلصت سابقاً : فتى : «فتيان» ، رحي : «رحيان» ، مثنوى :
«مثنوبان» ، حبارى : «حباريان» ، عصا : «عصوان» ، قفا : «قفوان» ،
رام : «راميان» ، راض : «راضيان» ، شج : «شجيان» ، أب : «أبوان» ،
أخ : «أخوان» ، حم : «حموان» ، كساء : «كساءان» ، رداء : «رداءان»
فراء : «فراءان» .

ب - مبدأ الرشاقة : قد تقضي رشاقة الصورة الصوتية ادخال
بعض التعديلات على بنيان الكلمة فالخروج عن مبدأ الاصلة كما هي
الحال في مفردة الرباعي ومثناه : ملهى و «ملهيان» ، أعشى «أعشيان»!

مسمى : « مسميان » . مرض « مرضيان » ، حيث نجد حرف (ياء)
مقلوباً عن (واو) .

يؤثر الذهن العربي أيضاً قلب (الهمزة) الى « واو » : بطحاء :
« بطحاوان » ، حمراء : « حمروان » ، صفراء : « صفروان » ، علياء :
« علياوان » ، وكذلك من : « إبنان » (بني) بنت : « بنتان » ، لغة
(لغوة) : « لغتان » ، لثة (لثية) : « لثتان » ، هنة (هنرة) : « هنتان »
وأيضاً من : معدي كرب : « معدي كربان » ، عبد مناف : « عبدا
مناف » ، أبو زبير : « أبوا زبير » ...

ج - مبدأ الایجاز : ينزع الذوق العربي الى الایجاز وخاصة في ما فوق
التلائي إذ تحذف « الهمزة » و « الواو » ، « والياء » في خوزلي :
« خوزلان » ، قبعثري : « قبعثران » ، خنفساء : « خنفسان » .

٥ - الجموع . لقد ميز الذهن العربي الجمع السالم عن الجمع المكسر
فكشف بهذا التمييز عن حدسه في اختلاف الاشخاص عن الأشياء في
حالة الجموع اذ تفتح ، بهذه الحالة ، كوامن الشخص بينما تبقى الاشياء
على ماهي وان الذهن هو الذي يلتقي عليها مفهومه الحاصل من تبدل
عددها . لذلك ، عبر الذوق العربي عن هذا الحدس ، في جمع الاشخاص بتفخيم
اعراب الاسم محتفظاً بكيانه الفردي وفي جمع الاشياء بتصرف مطلق

في هذا الكيان مبدعاً الصور الصوتية الملائمة لتحويلات المفهوم الحاصلة
من ترواج الكيفية بالعدد .

من الذي يتمتع ، في الذهن العربي ، بمكانة شخص ؟ كل من انطوى
كيانه على ذات أو انتسب اليها ، تتمتع بالذاتية : المرء أولاً والمرأة ثانياً .
أي الاعلام : محمد ، محمود ، زيد ، زيدون ، وتصغير الاعلام : عثيان
عثيانون ، وتصغير اسم الجنس العاقل : رجيل : رجيلون ، والصفات
العائدة إلى المعقولات والصفات الفعلية المؤنثة بـ (ة) ، وأفعال التفضيل
ومنها أيضاً : أهل : أهلون ، عالم ، عالمون ، فهي تجمع كافة على المذكور
السالم بتحويل التنوين في المفرد إلى مفخمه (ون) في الجمع .

وأعلام المؤنث العاقل : فاطمة : فاطمات ، والاسماء والصفات المتميزة
بـ (همزة) أو (ي) : ذكريات . والصفات التي يجمع مذكرها جمعاً سالماً .
تجمع أيضاً على المؤنث السالم بتحويل علامة التأنيث في المفرد إلى مفخمها
في الجمع أي من (ة) إلى آت .

وعندما انخرق الذوق العربي أخيراً اخذت «تاء» التأنيث تلتبس
عليه «بتاء الوحدة» ، وبهذا الالتباس شملت هذه القاعدة الحروف :
ميم ميمات . وكذلك الكلمات المستحدثة : تصنيف تصنيفات (والصحيح

تصانيف) وذلك جهلاً بالفرق بين الأشياء والاشخاص بين الوحدة
الحاصلة من التحديد والوحدة الذاتية .

إن زعة الذوق العربي إلى الاصاله والايجاز والرشاقة في البيان هذه
الاتجاهات العامة التي قد أشرنا إليها سابقاً) تبدو في قاعدة الجمع أيضاً
الاصالة : هند . هندات ، صلاة . صلوات ، دعد دعدات ، الايـجاز :
جبارى : جبارات ، مصطفى مصطفىون ، وأما الرشاقة فهي تبرز خاصة
في جمع التكسير حيث يتصرف هذا الذوق بالحركات والحروف تحقيقاً
انزعته الفنية : قطعة . قطع ، أحذب . حذب ، بحر بحار ، قائم ، قيام ،
بطحاء : بطاح ، ساحر ، سحرة وجه : أوجه ، جزيرة . جزائر ، صديق
اصدقاء ، صاحب . صاحب ، الاكبر . الاكبر ، ينبوع . ينابيع ، سواس .
سواسيه ، عنكبوت . عناكب ، سفرجل . سفارج ، مغربي مغاربة ،
عذراء . عذارى . جان . جناة ...

ينسجم مع هذه النظرة في العدد ، حدس العربي في القدر أيضاً وهو
يزيدها إيضاحاً إذ أن المشتقات المتفرعة عن صورته الصوتية تشير إلى
اتجاهات الكم أولاً . قدر . قدرأ ، قاس : قياسا (وهي من «قدر» أي
قطع) ، ومنها . المقدار والقدر ... وثانياً : انجاه القوة «قدر» قدرة على
الشيء . قوي عليه . ومنها «القدرة» ، و «الاقتمدار» ، و «المقدار» ،

و « القدير .. وثالثا القيمة والمرتبة « قدر » الله قداراً . عظمه ، ومنها .
«التقدير» والقدر (البصير) وفيها اتجاها الكيف والكم معا . وإن
كلمة قدر تلخص هذ الاتجاهات فهي تعني مبلغ كون الشيء ، وكونه
متساوياً ، والطاقة والقوة ، ثم الحرمة والوقار ...

وان هذا الحدس يكشف عن نظرة العربي الرتيبة (hiérarchique)
في الوجود حيث يكون لكل فلكه الخاص ، ويمدى هذا الفلك تتحدد
قدرته وبمرتبه يتبعن قدره في سلسلة الوجود : فكأن الوجود في هذا
الحدس منظومة قد انطوى كل من تجلياته عليه كاملاً وهي تحقق من
قرارتها بنسبة ما تستجم في وحدتها من تجلياته المتجاوبة .

واثن كانت كل من هذه التجليات وحدة من حيث هي متصلة
بالوجود ، منطوية عليه فهي تبدو كثرة بتجليها خلال المكان ، بدوياً
قد اقتضته زعة كل منها إلى التفرّد بانشاء ذاتها فاختيار النهج الخاص في
هذا الانشاء اختياراً ينطوي على الاصطفاء والاستجمام . وإن هذه الكثرة
تظل متحلية بالوحدة الحية ذات الامدة المتلازمة والمنسجمة ما دامت
تقرب بالبنيان (srructure) الحاصل من النظرة المشتركة في الوجود .
وبالرحمة (sympathie) يهتدى إلى هذه القرار ، والعدد ، بنزعه
الكثرة المتآحدة والوحدة المتكاثرة ، يشير إلى أن الحياة ليست انطباقاً

على الكون بل هي تفسير بديء (يبدأ في الوجود) يكشف عن
نظرتها من عمق في اتجاه الامتداد مرتقياً باتجاه هذه النظرة من استجمام
هذا الامتداد .

وما المعادلات العددية التي تحدت منظومتها بطبيعة الاشياء إلا
خيال هذا البنيان الملقى على المكان ...

واثن تعين هذا القدر في الملاء الأعلى فقدرته تبدو مندرجة في
الكون في فلك محدود، إلا أن الانسان ، وإن تألف بدنه من أديم
الارض فخضع لنظامها منبثق بنفسه عن الاله (من روحه) ومصنوع
على صورته ، وبالنية على الخير ، أي التسامي نحو الملاء الأعلى ، تتوجه
هذه النفس إلى المعنى صانعها ، وعن معاودته إياها تبدو الحقيقة فمثلها
كمثل حرج ، بتجاذبه مع الغيث ، تفتح عن الأزهار في الوجود ...

بين الامم والفعالية

« قيل : في البدء كانت الكلمة ، أما أنا فأقول في البدء كان العمل

« غوته »

(الفعالية) »

لقد أجمل (غوته) بهذه العبارة اتجاهي المدينة الحديثة والثقافة
العربية المتفرعة بالشعوب السامية ، إلا أنه بمحاولته تمييز هذين

الاتجاهين بالتضاد (par opposition) بدلاً من التباين (dielactique) قصر عن إدراك الحقيقة قصوراً أزمته به الظروف التاريخية، إذ أن المدنية الحديثة قد انبثقت عن القرون الوسطى ذات الطابع السامي : المسيحي - الاسلامي. ونمت جواباً (en reaction) على شطط اتجاهات تلك الثقافة : جواباً على ثقافة قد تجوّفت كافة مظاهرها من قيمها بانحراف المجتمع فيها عن حقيقته . وليس عبثاً أن نفر (غوته) وممثلو هذه المدنية من أشكال الثقافة السامية المحجوفة فسها بهذه النفرة، عما تنطوي عليه هذه الاصداف من قيم انسانية خالدة .

ولقد كان للعلوم الاسمية أيضاً (السحر، التنجيم التقدير) وهي ملتبسة عند العوام بهذه القيم، تأثير في حجب هذه الاخيرة عن البصيرة، كما زاد خطأ الترجمة هذا الحجاب كثافة إذ أن العبارة بالأصل هي (في البدء كان الاسم وليست الكلمة) .

ولئن حملت ثقافات الشعوب السامية طابعاً اسمياً، تشير اليه كنيته وتصريح به دياناتها وهو (أي الاسم) يبدو في مطلع الكتب المنزلة كما ظل أيضاً محور ثقافتنا بابل ووادي النيل فان حدس الاسم في اللسان العربي، ينطوي على اتجاهات السموي والتسامي، وما السماء صورة الوجود، إلا احدى شقيقاته : (الاسماء تنزل من السماء)

وإذا طغت هذه العلوم (الاسمية) عن تلك الشعوب في حالة انحلالها
فحجب بهذا الطغيان مفهوم الاسم عن البصيرة فلا أنها تجيب على
زرعة الحياة الى ما يتهدى حدود الحاضر. نزع ملتبس خيالها بحس
العدد والقدر.

ومما زاد هذا الالتباس انحرافا فهم حكمة (ان الاسماء تنزل من
السماء فيها شكيا فبئات الكلمة في هذه العقلية المنجرفة معادلة لمسماها
والارقام المصطلح عليها مقادير لحرورها و (كها) مماثلاً لبنيان الشيء ذاته
واصبح التقدير (prevoir) وتبديل القدر (Le Destin) بالاستناد إلى
منظومة اعداد الكلمة، هدفا اساسيا لهذه العلوم.

ولم يكن انحراف هذه العقلية في حدسها في العدد (بنيان الكون
الرياضي) ولا في القدر (تأف هذا البنيان من منظومات عديدة معينة
بل هو في التباس القيم الانسانية بالعلم الخارجي التباسا حذر منه ممتلو
هذه الثقافة وأشار إليه المسيح بجوابه على طلب وجه اليه في تحويل الحجر
خبراً. ان عالم الاقدار ينضع اناموس الاب (الإله) وملكوت ابن
الإنسان في اتجاه المعنى. واقدميز المسيح بهذه الاشارة عالم الروح من
عالم المادة، وخضوع هذه الاخيرة لاوانين مستقرة. وبين أن التأثير فيه

لن يتأتى إلا بواسطة الآلة التي انشئت موادها منه وانها انظرة تنسجم فيها الثقافة السامية مع المدنية الحديثة رغم تباين اتجاهيهما .

وما هو الاسم في هذه الثقافة ؟ إنه سمة السكان التي اختيرت في الملاء الأعلى ؛ (الاسماء تنزل من السماء و) . النفس تنشئ صورتها من تجلياتها تحقيقاً لهذه السمة ، متخذة مداد بدنها قاعدة عليها ترتقي ومن فراعته المستدقة تنسجم منظومتها المتجلية بالأصوات والألوان المصطفاة من بين تجلياتها الحسية .

وإذن كان المداد يضيقُ عن المعنى فقدُ جُهزت النفس بدماع هو دنيا طوع مشيئتها لتبعث فيه ، من الخيال ، ما يحقق صورتها متساميةً بهذا التحقق نحو سماتها :

هذه الصورة تفترق فيها المعرفة عن بنيان بدنها فينموان بهذا الانفراق في اتجاهين أبداً متوازيين إذ أن البدن ينتهي بالقواعد الحياتية غير المشعورة (القوانين الفيزيولوجية) والمعرفةُ به تسترسل أيضاً فيما يتعدى كلَّ حدٍّ ممكنٍ [l'infinitésimal] وهما وإن لم يتلاقيا في هذا الاتجاه منبعثان ، في الاتجاه الآخر ، من ذات السمة حيث البدن من (بدأ) هو ما تبدو به هذه السمة صورة في عالم المكان فأن الميول

المتبلورة بهذا البدن تعين اتجاهات هذه الصورة المستقبضة طبيعة في
المكان ، فتبدو الاشياء (من شاء) المتألفة في هذه الطبيعة غايات بها
تتحقق تلك الميول ، ولكن هيهات أن تستنفد معرفة هذه الغايات المتمثلة
أيضاً ذهنياً ، تلك الاشياء : فالخيالُ أبداً منفصل عن ماهيتها . وهما
قد يتأحدان ولكن ليس في هذا الاتجاه .

وإن تحولات الصورة الذهنية ، بالإرادة ، إلى عمل في البدن فتأثير
الصورة ان يتعدى حدود البدن إذ أنها منبثقان عن وحدة (ميتافيزيكية) .
وإذا بدا تأثير الإرادة متخظياً حدود البدن في نسيج القدر فان
هذا التخظي لم يحصل الا واسطة الالة التي بنيت من عناصر القدر . كما
سبق أن بدا تأثيرها في جهاز البدن المؤلف من منظومة أوائل ، هذا
الجهاز الذي يبدر كل من أعضائه خلال المكان منظومة « أمددة »
مكتنية بالتجليات الحسية مع أنه وحدة من حيث هو منبثق عن ذات
السمة . مثله كمثل الأنشودة التي تتجلى في النفس إلهاماً وخيالاً ومداداً
(منظومة أعداد اهتزازات ألمانها) . ولما كان مداد الاشياء يبدو
منفصلاً عن صورها المتمثلة في الذهن فهي لن تخضع لصناعتنا كما تخضع
الأعضاء لإرادتنا إلا بنسبة ما يقترب العلم من اكتشاف منظومة
بنائها العددي .

وإن كانت معرفتنا تقف من الأشياء عند منظومتها العددية المتحدية
بالتجليات الحسية فهي ترتقي بالرحمة [sympathie naturelle] الى الإلهام
(وحدة انبثاق الكائنات الحية) فيبدو الإنسان ، حينئذ ، معرفة وعملاً
أي وجهتي وحدة مستنيرة بنور ذاتها وما الإرادة إلا نيةٌ تعبر فيها
الغاية تعبيراً مبهماً غامضاً عن الاستعدادات الكامنة وبتحققها في هاتين
الوجهتين تنمو الشخصية .

وإن نزع الفكر (الأوروبي) الى الطبيعة (من طبع) وهي
صورة المعنى المستفيضة وجرداً ، وتدرج نحو بنيان هذا الخيال الرياضي
فأدرك ، في هذا الاتجاه ، وحدة هذا الهيكل الحاصل من التباس
السببية (التلازم) بظرفي الزمان والمكان ، واتخذ هذا الهيكل بذاته
ولذاته فقد انحدر الى العينية (identité) في المعرفة والى العطالة
(yneritie) في الوجود فانتهى هذا الفكر بوحدة الكون غير المتناهية
وحدة ذات كيان متناقض .

وهيات أن يستقر الفكر على التناقض . ولن يتخطى طيف المعنى
عن معاودته ولا عن دعوته الى التأمل بالكمال (La Perfectton) كفكرة
وكصوبة الى تحقيقها : هذه الصبوة التي قد فتحت للذهن العربي . بعنفها

سبيل المعنى ، وأثارته . بفسحتها ، فأدرك الكمال ولكن في الاتجاه
الآخر ، لأن تأثير المعرفة في الأشياء لم يتم إلا بصورة غير مباشرة إذ
أن هذه الأشياء أيضاً لن تلزم صورها الذهنية عملاً إلا بعلاقتها مع الميول
التي ينطوي عليها البدن . بينما المعرفة لرحمانية هي علم وعمل وهي في
حالتها ذات درجات متفاوتة .

ولقد أشار الذهن العربي في جمع السالم الى تفتح الشخص بالاجتماع .
وما الشهرة (الإسم) إلا رمز قابلية صاحبها على إزالة الفواصل بين
النفوس بحيث يشف الحجاب ، يتجاوبها في وحدة حال ، عن ينايـع
الحياة التي تتدفق فيغمر الجميع بهذه النشوة .

لا تبقى هذه المعرفة الرحمانية عند تفتح نفس صاحبها بتجاوب
الآخرين فيها بل هي تنمو أبدأ بالكشف عن قراراتها فتحقق ذاتها
تحققاً يوجب الاختيار عند كل بداية : اختياراً يبدر في الوجود عملاً .
وإذا كان ما يبدر عن الملاء الأعلى منظومة فالمعرفة فيها ، هي من العمل ،
كالخس من الجهاز العضوي المختص به .

فاذا كانت السببية قوام معرفتنا الكونية . فالرحمة هي مبدأ معرفتنا
الحياتية وقوامها وكذلك الواجب مبدأ معرفتنا الإنسانية وقوامها وإذا

ادرك الفكر الاوروبي الوجود خلال السببية يداله الكون والحياة
تاريخاً سرمدياً مع أن النظرة العربية Vision في الوجود انبثاقية وهي
لقد القت عليه طابعها الإنساني فبدا لها الكون والحياة مراحل (قبب)
فان الاسم وهو شقيق كلمة سماء ، في عتائد الشعوب السامية ، هو السمة
التي تحقق بها المعنى صورة في كل من هذه المراحل : خلق الله آدم على
صورته ومثل عيسى كمثل آدم .

سمة تفتحت عن نظام القيم الانسانية المنسجمة مع طبيعة هذه
المرحلة ، فزكت على شفقتها ، هذه القيم في نفوس ابنائها .

واثن تفتح هذا النظام كاملاً في النبوة فالبطل أيضاً بارادته يوقف
سير القدر ويبعث بكافة هذه القيم في نفسه المتفتحة بهذا الاستجمام ،
تدفع عنها بالطبيعة وما التت هذه عليها من آثار كما تدفع المئبرة ، عند
تقلصها الابر فتتفر هذه منها متطيرة فترتقي هذه النفس من شخص الى
ذات متممة بالخلود وتبقى ذكراها منارة تهتدى على شفقتها الاجيال :
(المصلحون) يدعون اولاد الله ؛ كل منكم يستطيع أن يكون مماثلاً
لابن الانسان (المسيح) .

ملحق :

« نحن من قوم قد شقوا طريقهم من الظلمة إلى النور » - غوته -

إن ماورد في هذا البحث يلقي ضوءاً على الأسبقية زمنياً بين الظلمة والنور ، إذ أن الاختلاف على هذه الاسبقية قد حصل من انتباس الواقع بالحقيقة انتباساً ينقشع باعتبار أن الواقع للكانن نسبي والظلمة أيضاً اليه نسبية [رغم أن الحياة تبدو في الرحم مكثفة بالظلمة وفيما بعد تنتقل من الغموض والإبهام إلى التفتح والوضوح] إذ أن نشأة الكائن تجلٍ من معنى ، وهي نزاعة على مسئوليتها ، الى تحقيق كافة تجلياته .

ولئن بدت هذه الغاية محققة عند استكمال شروط حياة الكائن بكاملها فهي كامنة في البداية ولا تزال مبعث فعاليته وعلى نورها توضح توجهاته توضحاً تشف به هذه الكامة وتنقشع مطلقاً في البصيرة .

ملاحظة : ١ -

مفهوم الزمن : لقد وقف الذهن العربي في تصنيف الفعل ، من حيث علاقته بالزمن ، عند الماضي والمضارع فأشار ، بحسب إعرابها بالأول الى اندراج الفعلية في المكان فر كونها ، وبالتالي الى مواصلتها : فكأنني بهذا الذهن ، بإعراضه عن الفعلية ، تمنى وتستكين وإقباله عليها تبعت من عالم الإمكان . وإن اختياره إعراباً مشتركاً لصيغتي الماضي والمفعول من جهة ، وصيغتي المضارع والفاعل من جهة أخرى ،

ليكشف بوضوح أكثر عن هذه النظرة المثالية الخاصة مع أن ذهنية الأمم الأوروبية تتلقى الزمن ملتبساً بالمكان ، وهو قائم بذاته تدرج فيه الفعالية سرمدياً ، وإن التقسيمات التي أدخلها فيه بين ماضٍ بسيط ، وماضٍ مركب وماضٍ في المستقبل ، تعبر عن نزعة إلى المادية التاريخية في الوجود .

ملاحظة : ٢ -

يتنوع الفعل في الذهن العربي ، خصوصاً بالنسبة أولاً إلى الشروط التي تحيط بتحقيقه ، وثانياً إلى تجارب بيان حدسه : ففي الحالة الأولى ينقسم الفعل إلى ما هو مرفوع ومنصوب ومجزوم ، وأمر وتأكيد والتاس ومجهول. ولئن بدا في هذه الصيغ توافق دقيق بين المعنى والصورة الصوتية فإن هذا البيان ليستدعي الانتباه خصوصاً في صيغة المجهول حيث أن حركة الفاعل - وهي الضم - تنقل إلى الحرف الأول (المشابهة مع التصغير) في حالتي الماضي والمضارع ، ويكسر ثاني حرف في الماضي بياناً لنسبة الفعل إلى فاعله ، أي أن الفاعل قد تحمل الفعل . وأما في المضارع - ذو الفعالية التي لم تفقد بعد - فيحرك ثاني حرف منه على الفتح : **مُقتل يُقتل** ، **مُضرب يُضرب** . . .

وفي الحالة الثانية يبدو طابع الذهن العربي (الحدس) متفرغاً في غاية الدقة حيث أن الصيغ فتح ضم (قتل: يقتل) فتح كسر (ضرب يضرب) فتح فتح (سأل: يسأل)، ضم ضم (كرم: يكرم) كسر فتح (فرح: يفرح)، كسر كسر (حسب: يحسب) كل منها مجسب ببيان حركة ثاني حرف منها تبر عن تجاوب الفعالية مع الفاعل، والغاية التي تستهدف... مع تغلب إحدى الاتجاهات.

وكذلك تعبر الأوزان التالية عن نفس البيان: فعمل (قطع، طوف) فاعل (قابل، سافر) أفعل (أدخل، أورد) تفعل (تفرق، تقطع) إفتعل (إفترق، إضطرب)...

ويبدو هذا البنيان (الحدس) أكثر وضوحاً في علاقة الفعل بالضمير وعلى الخصوص، تكشف هذه العلاقة، حسب موقع عناصرها في وحدة عبارتها، عن الأهمية النسبية لهذه العناصر المتجاوبة إذ أن الضمير يكتنف الفعل المضارع بالسوابق واللواحق (Préfixe et suffixe) فهو يقتصر في الماضي على اللواحق فقط وبهذه المشابهة مع الاسم تبرز صفتها المشتركة فاتحدار هذه الصيغة نحو الاستكانة.

ويؤكد الاختلاف في الإعراب أيضاً الفرق في الأهمية بينها

أهمية تكاد تتلاشى في الغائب الماضي : ضرب : يضرب ، ضربوا :
يضربون . . .

تهدينا هذه العناية بالمضارع (على خلاف الماضي) إلى زعة الذهنية
العربية إلى التقدمية ونفرتها من الرجعية متممة نزعتها الأساسية إلى
الأصالة فيتوضح بذلك طابع اللسان العربي الجوي .

لقد أشارت الحياة بيدنها ، رمز ميولها المتبلورة إلى الأصالة كبداً
انبثاق لمظاهرها تنمو فيه اتجاهاتها وإن كل ترفيع يعترها لينبيء عن
ظهور أصاب صاحبه، وهي بنسبة ما تمتلك بالظروف المحيطة بها وتخضع
القدر مشيئتها ، تثبت تقدمها .

ولما كان طابع المدنية الحديثة طابعاً علمياً صاعياً تضاف فيه كل
حقيقة مكتسبة إلى ما قبلها ، فقد سطا النهج التقدمي على كافة مؤسساتها
ولكن على حساب الأصالة فيها فأخذت هذه المؤسسات تستجيب إلى
أدوات مصطنعة بحيث تغلبت الوسائل على غايتها .

ملاحظة : ٣

ولئن كان الإيسم العام (en Majuscule) في عقائد الشعوب السامية
هو الصورة التي تتضمن الطبيعة (المحسوسات والمدركات من وجهة نظر

الإنسان) فالحياة الانسانية بتساميها نحو المعنى (ولقد أشارت الى ذلك
أسطورة آدم بأنه صُنع على صورة الإله) فالإسم الخاص (en Minuscule)
ترمز الى معادل الصورة الخصوصية الصوتي ، رمزاً عينته الحياة نفسها
في الأمة البدائية واصطلح عليه عرفاً في الامة المشتقة .

وإن الصورة المتضمنة ، بحسب حدسها (الشكل والصيرورة) تشير
الى حدوث وجهتي الوجود : الطبيعة والتاريخ تحقيقاً للمعنى اذ أن
الطبيعة تعكس (Projète) الحالات المستفيضة (أي الماضي ملتبساً بالاسم
في الذكرى ، والأمل ملتبساً بخياله في النزعة) . وما التاريخ الا محاولة
عوضت الحياة بها عن ضيق المكان عن المعنى في نسبة الاسماء المجردة
نسبة متفوقة على ما تشخص منها .

وإذن بدأت الجملة بالفعل وكان الفعل مبعث اشتقاق الاسماء حيث
يبدأ الواقع (من وقع وهو يرمز الى الهبوط) مع الفعالية ، فالاختلاف
بين الاسم والفعل في اللسان العربي انما هو اختلاف نسبي فيمتبع نحوتهما
بعضها تبديل الحركات في بنيانهما . واذا كانت «الشدّة» علامة الأفعال
الثنائية الأصلية بياناً عن التواصل في الفعالية (ورمزاً الى سير القدر)
فإن الإسم يتميز أيضاً «بالتنوين» كأني بالذهن العربي يشير به الى الرنة

التي تُحدث عند انبثاقه خلال نسيج القدر . وان الاستحالة لم تقف عند الإسم والفعل بل تشمل كافة أنواع الكلام . وما قيل عن تقسيم الاسماء الى جامد ومشتق انما هو جهل بطبيعة اللسان العربي اذ ان اسم «رجل» مشتق من فعل «رَجَّ» ومن هذا الإسم يحصل ارتجل . وكذلك اسم «عين» مشتق من «عان» واسم «فرس» من «فر» و«قطعة» من «قط» و«بطانة» من «بط» . والاختلاف فيها انما أتى عن اختلاف النظر اليها .

وإن صيغ الاشتقاق وعدد مشتقاتها لتكشف عن علاقة المعنى بالصورة وعن مدى تحقيق إمكانيات الأمة في مراحل تاريخها :

(١) «فعل» : تعبر عن استهداف الفعالية غايتها بجزم المقطع الأول : فهم : «فهم» ؛ تتل : «قتل» .
 (٢) «فعل» : تعبر عن نسبة الفعالية الى فاعلها . «حفظ» ؛
 «علم» .

(٣) «فعل» : تعبر عن استمرار الفعالية مستقلاً عن غايتها ؛
 «فعود» ، «جلوس» .

(٤) «فعله» : تعبر عن تغلب اتجاه الحالة : «خشونة» ؛ «سهولة» .

(٥) «فعلان» : تعبر عن تقطع الفعالية : «يرقان» ؛

« خفقان » .

(٦) « فَعِيل » : تعبر عن استمرار الفعلية : « رديب » ، « رحيل » .

(٧) « فِعَال » : تعبر عن رسوخ الحالة أو الفعلية : « كذّاب »

« كبار » .

(٨) « فِعَال » : تعبر عن الإبتعاد : « فرار » ، « جاح » ، « نفار » .

(٩) « فِعْيَلِي » : تعبر عن التكرار والشدة : « حثيثي » ؛

« خطيبي » .

ويستدق البيان حتى أن الفعل ذا المعاني المختلفة يكون له مصادر

عديدة التعبير عن هذه المعاني : وَجَدَ ، وَجَدَهُ ، وَجَدَان . رَفَعَ :

« رفعة » ، « رُفُعاة » . . .

ملاحظة : ٤ -

إن تصنيف الموجودات بين مذكر ومؤنث يعود الى مبدأ

الفعالية الذي يعود اليه تقسيم الأفعال الى ماضٍ ومضارع والأسماء الى

فاعل ومفعول فيتوضح بهذا التصنيف أيضاً شأن الفعلية في الذهن

العربي وشمولها على قواعد اسانه . ولم تكن علامة التأنيث (ة) وهي

تلفظ بين (ه) و (ت) في حالي المفرد والجمع الا تطوراً للفتح عبارة

الر كون الحاصل من تحديد الفعالية في المكان اذ يبدو هذا الر كون خاصة في اسم الوحدة الحاصلة من تحديد الجنس: بقر « بقره » ، سمك « سمكة » ، بط « بطه » وفي اسم المرآة : « نُصره » « قشعريرة » ، « ترويجة » ، وفي اسم الكيفية : « شاعرية » ، « ذهنية » ، « عبقرية » وفي اسم الجزء : « خرقة » ، « قطفة » .

ومما يؤيد ذلك تحول الأسماء من مؤنث الى مذكر : « دفلى » « بهمي » ، « زفرى » ، (بتنوينها) . وينسجم مع هذه النظرة اعتبار الجوع مؤنثة اذ أنها مفاهيم ذهنية حاصلة من تحديد المكان أيضاً : « إبل » ، « غنم » ، دود ... حتى أعضاء البدن المزدوجة فإنها مؤنثة غالباً ، « رجل » ، « يد » ، « كتف » ، « عين » ، « أذن » ... مع أن المفرد منها مذكر ، « أنف » ، « رأس » ، « وجه » ... وأسماء الجمع الخاصة بالعاقل ، مع أنها عديمة الفردية ، تذكر أيضاً ، « قوم » ، « رهط » ، « ركب » ...

ربما كان الطابع الاجتماعي قد ساعد على بروز صفة التأنيث وميزها عن نزع الاشياء العامة الى الر كون حيث أن (ة) تبدي تطوراً دقيقاً في اتجاه ، (ى) ، (ا) ، (ء) في الصفات البارز معنى من الأتجاه الانساني ، الاكبر ، « الكبرى » ، الاعظم

« العظمى » (كبرى المدن) ، غضبان « غضبي » ، شعبان « شعبي » ،
ظمان « ظمأى » .

ثم الصفات التي تنزع الى الاطلاق فانها تبقى على المذكر الا
اذا تحددت ب (ة) فتأنت ، رجل صبور « امرأة صبور » ، رجل
كذوب « امرأة كذوب » ، « رأيت صبورة » وكذلك تقول ،
« عين كحيل » ، « فتاة قتيل » ، « امرأة جريح » ، « ناقة مدعان » ،
« جارية معطار » ، « رأيت معطارة » .

والصفات الثابتة والملازمة المؤنث الحقيقي تكتسب بتحديددها
علامة التأنيث ، « امرأة حامل » وهي « حاملة » هذه السننة ، « امرأة
طالق » وهي « طالقة » غداً . ويؤيد هذه النظرة تقسيم المؤنث الى
حقيقي ومجازي فيكون هذا الاخير خاضعاً لقواعد النحو المتعلقة
بالاشياء ، بينما يتبع المؤنث المعنوي قواعد خاصة بالماثل .



الفصل السادس

هول المبقرية والابداع

الانسان والفكرة المنبتقة عنه كلاهما متماثلان تكويناً اذ ان
الفكرة ايضاً تبدو مصمماً منطوياً على استعدادات خاصة ومبادئ
عامة وإذا حصل بهذه الاستعدادات ، اصطفاء الصور والخيالات
المحققة لها ، فانما يتم بتلك المبادئ توجيهها فتمتدح بذلك حينئذ حدود
سياها : مثل الانسان في ذلك كمثل الطائر ينبت ريشه بالهمة التي
انفقدت عليها حياته وبهذا الريش ايضاً يتحدد مدى الافاق التي
يرتقيها ، فتبدو له الطبيعة عندئذ مختلفة متنوعة . وكذلك الانسان اذ
ما حملت نفسه الاصلة ميولاً كريمة نهضت بها هذه نهضة متناسبة
بالفسحة ، مع عمقها ، فأدرك الكون والوجود حينئذ من آفاق متفاوتة
وأن تكن الحياة شقاوة فهي تأتي ، في كل درجة ترتقيها ، بالغبطة التي
تنبي عن غايتها . ولئن انبتقت الفكرة عنها تعبيراً عن ذاتها فيها يتحدد
سلوكها وهي بذلك تتحقق .

فالحياة اذن تنشيء بنيانها (جوها الانساني) وبدنها بحسب غايتها
في الوجود .

* * *

ليست الحياة رسماً (photographie) ولكنها فن (Art) واذا
كانت تبدو ، في أشكالها الاولية ملتصقة بها خاضعة لنفوذها ، فهي لن
تتلاشى فيها وسرعان ما تتحرر منها فتبدر حينئذ معنىً بديئاً موجهاً
للقدر ملقياً عليها بشمول متناسب مع عمق مصممه .

لقد رمزت الحياة بعدانها (مرحلة الكائن بين تكوينه وشيخوخته)
الى مدى توجدها للقدر اذ انها استجمت ، في وحدة هذا العدان ،
مكانها (مدى تفتح تجلياتها) مع زمانها (تفاعل التجليات وانسجامها)
فعينت بفسحة مرتبة نوعها في السلسلة الحيوانية فيبينما يتساوى العمل
(L'action) في المادة (La matière) مع ردته (réaction) وتبدر
الحوادث حاصلة عن تفاعلها يجب الكائن الحي بحسب طبيعته على
المؤثرات بجواب متناسب المدى مع امرتته في هذه السلسلة .

* * *

لقد أشار الذهن العربي بكلمتي « العقيدة » و « عقَدَ » (الجنين
أو الزهر مثلاً) المشتقتين من ذات المصدر الى المناسبة بين الحياه

والمعرفة التي تتجلى بها لذاتها . وان هذه الاشارة لتهدينا ، بالاطلاع على كنه المعرفة ودرجاتها ، الى نشأة الانواع الحيوانية ومراتبها : فاذا كانت الحياه تجيب بتجلياتها الحسية على المنظومات الاهتزازية الواردة اليها من الخارج ، فانها ، بالاستناد الى هذه المدركات الحسية ترتقي بمعرفة الكائنات الحية الى تفتحها رحمانياً وقد تتسامى الى البصائر في بنيانها الانساني اذا ما بعثت في ذاتها تجليات هذا البنيان المتبلور رموزاً في بيئتها . وان كل درجة من هذه المعرفة عند استكمالها الشروط المحققة لها ، تبدر عملاً متناسب المدى ، فوسحة ، مع عمقها في صميم الوجود . كذلك الكائنات الحية فهي وان اتجهت بجواسها نحو العالم الخارجي تبقى متصلة من الصميم ايضاً بالوجود وهي منه كالطفل من امه : اذا ما تحدد تفتح مشاعرهما بمدى تجاوبهما الرحمني فان درجة هذا التفتح تعين عدانها النوعي .

واذا تحدد عدانها (الكائنات الحية) بعمق اتصالها بصميم الوجود فان وجهة نظرها فيه تعين علاقتها بمظاهرها التي يتم بها تحقيق (réalisation) هذا الاتصال : علاقة ينسجم فيها بنيان الكائن وما انطوى عليه هذا البنيان من الغرائز مع الاشياء التي تؤلف هذه المظاهر . وما الانطباق (adaptation) الا رسوخ التجاوب بين بنية الكائن وبيئته : انطباق يبدو

انجابه عنايةً (من عنى) نحو الاشياء (من شاء) كما يبدو الانسجام متوضحاً بتجاوب الحدس مع الصور المحققة له . فاذا تبدلت البيئة تدريجاً او بانقلاب مفاجيء ، ضمير او تلاميذ النوع الحيواني ذو البنيان المنطور عليها . وما تحرر إلا الانسان (وهو علي صورة الاله) من قيد هذه العلاقة حيث أن عمق اتصاله حمله على تحطيم حدود القدر على مثال الحياة ذاتها (بخلق عداتها على درجاته المتفاوتة) فأنشأ في هذا القدر البيئة التي يزهو بها ابداً .

* * *

واثن بدا النوع ، في الطبيعة ، ذا صفات متلازمة ومتممة ، فإنه ينبثق عن الملاء الأعلى وحدة حية تتجاوب فيها الغاية مع البداية تجاوب الاالحان التي بها يتحقق إلهام الانشودة ، فيتجلى ، في هذه الوحدة ، الاتصال بين الضمير (in conscience) والوجدان (Conscience) ، وتتوضح الميول التي تبدر قبل أن تدعو الحاجة الى استعمالها ، إذ أن الحياة تنشئ الاعضاء كما تحتزن الذكريات والعادات بغية استخدامها في المستقبل تحقيقاً لأهدافها لقد ارتسمت في بنية الانسان مقدراته فينيء قوامه المنتصب ذو التوازن المتخلف بصعوبة عن كافة الانواع ، وبنياته المتلازم النمو مع جنسه ، وبدنه المتحرر من اوائل طبيعية

مؤثرة... ينبىء كل ذلك عن مستقبل سيتصرف فيه الانسان بالقدر
فيصنع منه اوائل على تقدم دائم، وسينشئ كياناً اجتماعياً نامياً بالتعاون
في اتجاهي الشمول والعمق يحفظ فيه تراث الاجداد بحيث يستأنف
الاحفاد تشييد بنيانهم .

اقد زعت الحياة في الانسان الى اتجاهات تبلورت في حدود
المفاهيم أو صور الاشياء . وبالتجربة والخيال يكشف عن هذه
الاتجاهات : فاذا دلت الذة على صلاح التجربة ، نانا النرح ينبىء
أيضاً بصدق الخيال .

تحمل الحياة ضوءها في ذاتها وعلى شفقه تصطفي خيراتها اصطفاء
من التجارب المحفوظة في ماضيها ومن المؤثرات الملحة عليها من حاضرها
لكي تبدع به الخيال الذي تجيب به النفس إما على مشكلة عملية أو
تحقيقاً لبنيانها المتسامي . وهي ان كانت تكشف بانتباهاتها المتسلسلة
والمنسجمة بنيانها الفني (المنظومات الروحانية التي انطوت عليها والصور
التي بها تتحقق هذه المنظومات) فانما : بالتأمل فيها يتحرر المعنى من
الطبيعة تحرر النقف من الفوقعة ، وحينئذ تستضيء بنور ذاتها ،
وبهذه الاضاءة تنضح اللاشعور (الضمير) ويصبح شعوراً ، وعلى

شفقه تيميد النظر في الوجود، وعلى مسؤوليتها تشترك في تعيين قيم الاشياء .

* * *

ليس ثمة انفصام بين النزوة (spontané) والارادة (volonté) فما تبني الحياة بالارادة مكمل لما انشأت نزواً وهي تنمو في الحالتين بنفس الاتجاه أي أنها تعبر عن المادة الملتبسة بها باستجمام الكثرة في الوحدة فتحرر بهذه الرفعة منها. وهي تظهر غناها بنسبة تحررها بحيث تتشعب ميولها وتمتع دائرة انتباهها فتلتزم ، عندئذ ، المسؤولية الناتجة عن الاختيار في الصور المتفرعة والمختلفة فسحة .

وإذا كانت بدهة هذه النزعة الفنية تظهر في المنظومات العليا الفلسفية والدينية فهي مرتسمة في الحس نفسه إذ تجيب به النفس من وجهة نظرها الخاصة ، على نزعة كافة تجليات الوجود الى التحقق جواباً ينطوي على تجاوب الذاتي (subjectif) مع التامى (objectif) انطواء الانشودة المتجلية إلهاماً وألحاناً على منظومة اهتزازتها (وهي هيكلها الملقى على المكان) .

والانامي ان بدا بدورته قدراً متواصلاً فالاحساسات التي تجيب بها النفس عليه كيفية (qualité) مختلفة بالدرجات: كاني بالحياة بقعة مضيئة

(tache lumineuse) تلقي باشعتها حيث تتوجه فتفتح توجهاً على قدر متواصل الحلقات . ولئن بدت كل من هذه المرحلات نبضاً (pulsation) في الاجهزة الحسية فهي حس به تتحدد صورة النفس في عالم الشهود وما المادة التي ينطوي اسمها على حدس المدة (Durée) والامتداد (étendue) الا الغاية التي تلتقى فيها الحياة بالكون . فاذا اجملت النفس هذه النزعة بمفهوم المادة تحقيقاً لبنيانها الفني فهي تجيب بالفرضيات التي تجعل بها المنظومات الصغرى (بالالكترونات) والمنظومات العظمى (بالافلاك) والفواصل التي بين الاشياء (بالاشتر) ، على نفس الحاجة الفنية الاصلية فيها بحيث تتسفي عن ظرفي الزمان والمكان

* * *

اذ كان الحيوان قد تباين (fait Contraste) عن يتيته بصورة متناسبة مع مدى عدانه ، فبفسحة خياله ايضاً تتمايز اذراعه وبها تتحقق ، خاصة مراتب الناس . ولئن كان العدان وحدة نمت فيه الحياة بتوقيف القدر والخيال الذي انشأ من لمحات مقتبسة عن القدر الخارجي حساً ومن القدر النفسي الذي طوع ارادتها « الدماغ » ذكرى فهذا الخيال قد تتجلى الحياة اذاتها متسامية بتكيفه .

الم تشر الصورة (image) نفسها ، بتشعب حدسها الى الصيرورة

[devenir] والشكل (forme) معاً فهي وان اقتبست عناصرها عن القدر ولازمته الى حد هذا الاقتباس ، الا أن المعنى هو قوام تألف عناصرها وهو يبدو متفوقاً بنسبة تنوع الذكريات والاحساسات التي يتحقق بها اي النقاط التي يمس بها القدر وعلى درجات متفاوتة تفاوتاً تبدو به هذه الصيرورة طبيعة ذات أبعاد (en relief) وان كلمة « شيء » وهي مشتقة من (شاء) لتكشف نشأتها عن علاقة الميل بغايته ، والمعنى بصورته ، فتحدد هـما متلازمين وأنى للكون ان يستوعب المعنى بل أني للسطح ان يستوعب الجسم ذا الابعاد الثلاث ؟ ..

ولئن ضاق الكون عن المعنى فقد انشأت الحياة (عدانها) قدراً طوع ارادتها ، فوضت عما عجزت الطبيعة عنه بالخيال (وبه تبعث القدرة المخترنة في الدماغ) الذي تشيد به عالمها ، معتلمة عليه نحو غايتها : المعنى .

واذا كانت الاشياء صوراً قد ارتسمت حدودها متلازمة مع ميول الحياة : فالصناعة ، وان هي اقربت بالعلم من ماهية هذه الاشياء فهي سرعان ما تلقي عليها سمة عبقريتها ، بتوجيهها اياها حسب مشيئتها فتحولها بهذا التوجيه الى دنيا متممة لبدنها (من حيث الطابع والخضوع) . فهي (اي الحياة) تشيد على هذه المدنية بديانها التقافي ولما كان العمل

اساسياً، فالمكرة التي تجملها نطل مسامرة لماهية الاشياء مسامرة قد
انتهت بظهور العلوم الطبيعية ذات "طابع العلمي (thechnique)
الأنامي (objectif) .

وإئن تحددت هذه المعرفة الأنامية العملية بمساومة (compromis)
بين الغاية والوسيلة، فهي بالعادة (habitude) ترسخ بالدماع، وبصورة
مصطنعة (artificiel) تستمد نسغ الحياة .

مع ان الخيال في المعرفة الفنية يبدع اشكلاً فيحقق بهذا الابداع
مصمم الحياة، ويجرر القوى الكامنة فيها بتوسيع دائرة انتباهها. والحياة
تتجلى حينئذ لذاتها عقلاً وذكاء، فان شف عليها بالعقل (من عقل: ربطاً)
نظام القدر وعلاقة الكائنات العامة فهي بالذكاء تضيء بنيرانها إضاءة على
شفقها تفتح كوا من النفس، فتبأرجج عبقريتها .

* * *

إئن انطوى البدن على هيكل عظمي فان للنفس ايضاً مصمماً
تصطفي به تجلياتها (الاحساسات والصور والافكار على اختلاف
درجاتها) على شفق الخيال الذي ابدع من هذه التجليات تحقيقاً له .
واذا كانت النباهة (l'attention spontanée) نبيه من نب : اعتملى
وارتفع (تكشف عن اتجاه المصمم، فان الانتباه (l'attention volontaire)

يعين حدود الاصطفاء ، وبالتجاوب بين التزوي والارادي تفتح الحياة
 باستحالة الضمير الى وجدان (ce qui est inconscient devient conscient)
 وهذا التواصل في الحياة النفسانية يبرز في انشاء المفهوم (le concept)
 والآية (l'idée) ، وفي تجاوب الغرائز التي انطوى عليها البدن مع
 القيم الانسانية اللتبسة بها . والمفهوم (le concept) وان تحدد بغايته
 العملية واستقل عن النباهة بالعادة (قوامه) . فانما يحصل تكوينه
 (formation) ويتم تحققه (confrontation) عند الحاجة بالانتباه الى
 الحالات التي يرمز اليها . وما كان العلم والصناعة الا بغاية الاحكام في
 هذا التحقيق وذلك التكوين .

وان هذا التجاوب بين الارادة والآية (idée) يبدو بوضوح في
 تحقيق هذه الاخيرة ، إذ أن الارادة تذي الصورة (أشعة إحدى
 التجليات التي تتحقق بها الفكرة) ، باختيارها ايها ، وهي (اي الارادة)
 إن أعرضت عنها انزاحت عن الوجدان وضمرت فيه . بينما تُحدد هذا
 الاختيار في المفهوم غاية خارجية فيحصل ، بالتجاوب بين الارادة والآية ،
 تحقيق هذه الاخيرة . وإذا ماثلت الذكريات التي تشترك في تكوين
 المفهوم التغذي من الذخيرة المخترنة في البدن تحوّل هذا الغذاء المصطنع
 في تحقيق الآية (idée) إلى كل ما في الحقيقة من حدة (ardeur)

وطراوة (fraicheur) ، بحيث تصبح الذكريات أشعة حاملة نورها ،
 وفرحها ، وحرمتها . وفي تحقيقها وتجاوزها مع الارادة تتحول هذه الاشعة
 الى كوكب ساطع ، يلقي بشفقته على سبل الاصطفاء ، وينير التجليات
 المقبلة ، إذ ليس من العبث أن قيل أن النفس لا تجزم عن الخير عارفة ،
 أو بشكل آخر : انها لا تقدم على الشر بمحض ارادتها . فالاية (idée)
 المتحققة هي تحرير قوى النفس الكامنة ونموها نمواً منعشاً لها ، كأني
 بالنفس ، بعد ان تمس المحسوس مساً تستغني عنه في ارتقائها إذا ما أجملت
 درجات الصعود برموز مستوفية شروطها الاجالية الفنية ، فتبدو حينئذ
 الصورة وسيلة لإستخلاص المعنى المنطوية عليه .

* * *

يظهر على الخصوص تماس الحياة آنياً ، في علاقتها بالغذاء الذي
 تنشأ به بدننا رمز مصممها المتحقق بحسب مقتضيات العالم الخارجي
 إذ يتحول هذا الغذاء الى قدرة متبدلة أبدأ ، بينما يواصل المصمم تفتحته
 في ذات الاتجاه تفتحاً يبدو في النفس ميلاً معبراً من وجهة نظرها عن
 التعادل الكيماوي بين ما استهلك البدن وما يحتاج اليه . واثن تكيف
 هذا الميل بطبيعة الحاجات المتفرعة الى رغبات متنوعة فلقد بدر في

الانسان متجهماً نحو قيم بديعية - اخلاقية متباينة أكثر فأكثر عن هذا
التعادل الكيموي .

فان تحلل شفق هذه القيم الأشياء (غاية الاحتياج) منذ الطفولة
فهو يشتد بنسبة ما يقرب الفرد في نوه من الشيخوخة فيقبل على حياة
اجتماعية حتى يتفجر الوجدان عن هذه القيم للبصيرة نجومأ ساطعات
سطوعاً متفاوتاً قد تشير به المعرفة الى الاختلاف في مراتب الانواع
الحيوانية . ولما كانت مظاهر الحياة تتجاوب في وحدة الوجدان
فاللعة (Lueur) المنبثقة عن هذه القيم قد تلمس على الأشياء فوائدها
وتحل بالاتزان بين الطبيعة والانسانية . والمجتمع الأقر من كماله هو
الذي تسجم فيه كافة القيم فتعبر النفوس عنها بما يقابلها من هيجان كأني
بالحياة فنان يحقق ذاته بالانشودة التي تتألف انغامها من مظاهر المرئسة
على الكون ، انشودة تعبر الكون بهجته وتضيء مفاصلة فتبث بالطبيعة
وحدة حية . واذا ما أخطأ تجاوب هذا الاقسام وضم الوجدان تفككت
هذه الوحدة وتقلصت الاشياء حتى الى التناثر في الجزئيات فبدت
حينئذ النظرة المادية والانانية في الانسان .

* * *

ان الحياة تلي على الانسان القيم ، فالعقيدة أو اختيارها من بين

العقائد كلاهما يدل على هوية عبقريتها وهذه كميديان مغناطيسي يُكشَفُ
 عن بنيانها بالتجربة ، و يُرْتَفَعُ إلى مصممها بانسجام هذه التجارب ،
 فهي تتجلى لذاتها ايضاً بالبصيرة وإذا عبرت الحياة بالحس عما تستقطب
 من العالم الخارجي أو حصلت ، بتجليها الحسي ، على نظرة رحمانية
 (vision sympathique) في بنيان هذا العالم فانها تجيب ايضاً على
 وضعها الاجتماعي بالعميقة التي يتفتح عنها هذا المجتمع قيماً (معرفة
 وعمل) في الوجدان فلئن انطوى الحس على نظام رياضي منطقي بعمقه
 (كثرة الاهتزازات في وحدة ادراك) تُحَدِّدُ حالته وفي سلسلته
 يُعَيِّنُ موقعه) فان العقائد تتضمن ايضاً نظاماً قيميّاً (العدل) متلازماً
 بعضه ببعض ، ومتتاماً .

وإذا كان قوام كل من هذه القيم يبدو معيناً بالنسبة لمركزها في
 هذا النظام وصبرتها نحو غايتها ، فلقد اختار الذهن العربي كلمة «عدل»
 الحاصلة من «عد» والمنطوية ، بحسب حدسها ، على اتجاهي العدالة :
 تمسُّ به المساواة ، وآخر تسمو فيه الى نظام رتيب (hiérarchique) .
 وإذا استعانت الحياة بالنظام الرياضي (الاهتزازات) على ادراك
 الحس . وبمنظومة البدن على الاتصال بحياة الكائن الحي اتصالاً
 رحمانياً ، فانها تستعين ايضاً بالمؤسسات الاجتماعية الملقاة على المكان

رموزاً لتبعث بنيانه وحدة حية : وحده حاول رجال اللاهوت عبثاً الوصول إليها بالبنيان الذهني (a postériori) وكل درجة تعتمدها النفس يبدو فيها التباين (Dialectique) الذي أدّى إليها متلاشياً في وحدتها .

ولئن أخطأ رجال اللاهوت الهدف ، فإن المدرسة الاجتماعية الافرنسية (درر كهيم) قد انتهت أيضاً الى المأزق نفسه فقد تلقت البنيان الاجتماعي وحدة حية قائمة بذاتها حاصلة من علاقة أفرادها حصول الحياة من التركيب الكيماوي على درجات متصاعدة . مع ان الحياة تتحدى مبدأ التلازم (Causalité) بنشأتها عن الملاء الأعلى بحيث تبدر كافة التجليات منسجمة (Pharmonieuse) وفعالة (Dynamique) . وما الفن الا بيان هذا الانسجام .

* * *

تنشيه الأمة جوها الثقافي منسجماً مع ما انطوت عليه ابدان ابنائها من ميول ومكملاتها . ومادامت هذه الميول تتجاوب مع جوها هذا تجاوباً ملائماً فالحياة تدهر في الأفراد وترهو وتغمر الناس كافة بنشوتها .

في هذا المجتمع تفتح مشاعر الرحمة ويتعاونون ابناءؤه على تذليل

الصعوبات فتسود المبادئ النبيلة اعمالهم وان ذكرى هذا العهد الذهبي الذي أنشئ نزوة لتبقى متلاثة في تاريخ هذه الأمة ، هذا العهد الذي اطلق عليه العرب اسم « الجاهلي » اعتزازاً به يوم كانوا يستوحون به اعمالهم من المبادئ التي فطرت عليها نفوسهم الكريمة وهم يجهلون نتائجها احتقاراً لها : فالحياة تجهل الموت وهي لن تنكر بالنتائج الا عند تجوفها .

لم تكن الحياة في الانسان لتبقى عند حدّ النشوة بل هي تصبو الى التفرد بانشاء ذوات مستكاملة شروط فطرتها فيتخطى الفرد وعلى مسؤوليته ، هذه المرحلة : فاما ان يشق طريق العلي أو أن يضوي (se dégénère) .

بالتجربة البدئية يكتشف الفرد هويته وبتأثير الصورة السحري ينشئ بنيانه وبالرحمة (sympathie) ينهض بها باخوانه فاذا صدق الحدس وبلغت العبارة غايتها تسامي الجميع نحو اهدافهم .

تبدو المظاهر الاجتماعية في وجدان الفرد كأنها تتعداه بانبتها وبصبوتها تعدياً تنال به قواماً ذاتياً (impersonnel) وهالة قدسية : كأنني بالناس ازهار تفتح عن مخطط الشجرة التي انبثقت عنها والانسان انما هو زهره تنزع ابدأ الى التفتح بالخيال المتسامي الذي يتم بنفسه هذا التفتح : وان لكل حالة مشاعرهما التي تدل على صحتها .

لقد أوضح الرأي العام العربي حدسه بمثال اذ قال : « ان العنب
بروية بعضه بعضاً يسود » وبالحقيقة فان التجاوب الرحماني بين افراد
المجتمع ينتهي بارتسام الملامح المعبرة عن الحالات النفسانية المشتركة
سواء أكانت هذه مشعورة أم أنها ما زالت ضامرة . وتبدر هذه
الحالات بصورة متفاوتة الدرجات في وجدان الافراد . ويضاف الى
هذا التجاوب الرحماني المؤسسات ومظاهر الحياة الاجتماعية الخاصة
فهي ، وان كانت رموزاً ، فإنها تستقطب النزعات عند انبثاقها في النفس ،
باتجاه اغناآتها فيحصل من التجاوب الرحماني والتفاعل الاجتماعي ما
هو الضمير المشترك . (l'inconscient collectif) الضمير النزاع الى التحقق
في الوجدان (Consciens) .

فن سبق سواه الى حدس هذا الوضع المشترك ، وأحسن بيانه كشف ،
بتأثير هذه الصورة البيانية ، الحجاب عما تتمخض عنه نفوس أبناء هذا
المجتمع ، وحقق فيهم هذا الابداع . وبما يلقي ابداعه من صدى في هذه
النفوس ، يتميز عن البدعة الحاصلة من شطط في الخيال .

وإذا اسود العنب برؤية بعضه بعضاً ، فلا أنه قد نضج باقترابه من
موسمه ، وما الزعيم للبدع الا الذي يبشر بال موسم فيولد بشارته هذه

النفوس ، مثله في ذلك كمثل الشمس التي تشترك مع الأشجار في
نضج ثمارها .

ان الذهن العربي قد عبّر بكلمة فقه (وهي إحدى شقيقات فق ،
فقاً ، فقه ، فقع ...) عن حدسه هذا ، إذ به تفتتح (تفقه) عن بيانها
الاجتماعي . والصورة التي يعبر بها الفقيه عما تفتحت نفسه عنه وتصبح
قاعدة يسلك عليها أفراد المجتمع ، هي الشريعة (من شرع ، أي الطريقة) .

* * *

أن أبداع أمة أو أخلق اشباحاً ؟!

أن أكون نبياً أو فناً ؟!

على هذه المسألة يتوقف تعيين وجهة أحلامي !

ان الديانة والفن يتباينان تبايناً يتواضحان به ، إذ تتجه النفس
بالديانة نحو مصدر انبثاقها ، وتغنى بالفن زهو تجلياتها ، وهي تتحقق كاملاً
بتجاوب قطبيّهما هذين : الصورة والمعنى . وان كان الفن يزكو بالنسغ
المنبثق عن ذلك المصدر ، فان الديانة تبهى بآياتها البيّنات .

واذا ارتقت النفس باتجاه ينبوع الى وحدانيّة واجدة
(Panthéisme mystique) (من وجد) فهي تنتهي في تحقيق تجلياتها

بوحداية فنية (Panthéisme artistique) وفي كلتا الحالتين يتخطى
الانسان حدود شخصيته .

وإثن كانت الحياة تنمو في الانسان بتجاوب تجلياتها مع الينبوع
الذي صدرت عنه ، فقد انطوت نفسه على مثلها الأعلى وكانت فيه
الغاية متقدمة على الأسباب المحققة له بحيث تنبعث بها الفعالية وتتعين
حدود الشخصية ، فتبقى النفس أبداً بين الحنين والصبوة : حنين الى
الديانة وصبوة الى الفن ، فاذا ضلت عن هدفها تردت في الانجذاب
أو الانانية .

والصورة وان كانت تعكس رواء المنظومة التي انسجمت فيها ،
فهي تظل مع ذلك متمتعة بالحسن الخاص بوحدها إذا ما اجملت هذه
شروط طبيعتها . بينما يصبح هذا الانسجام في منظومة القيم الاخلاقية
رتيباً (hierarchique) حيث يزول وضوح الغاية الفوارق تفتحت من درجات
التباين التي انتهت اليها ، وكلما ارتقت النفس في هذا الاتجاه قابلياتها
على ادراك بنيانها أعمق وأعمق ، تفتجاً يرسم على سماء صاحبها فيمنحها
سمة ذات سحر رحماني ، حتى تصبح رسالته هذه في المجتمع كالرعد الذي
يفجر بدويه ينابيع الارض فيجرف بفيضها الاقذار عن سطحها ، كذلك
تظهر هذه الرسالة النفوس بفيضها من آلامها ، ففيها تنسجم أمانينا واليها

والها نصبو كمثل أعلى ، وعلى شئقها نهندي الى سبلنا ، ورمز الى هالتها القدسية بالالوهية كما رمز الى من نحب بجملة عواطفنا .

* * *

يعمل الانسان ويفسر سلوكه ، فيشارك بهذا التفسير في انشاء بنيته (Caractère) . فإذا كانت الحياة قد ألزمته العمل فقد أوجبت عليه النفس تبريره (justification) والى انسان الأقرب من كماله هو الذي تنسجم فلسفته مع أخلاقه وتضيئها .

ولئن تقدم انعقاد الزهرة على تفتحها ، فإن العقيدة تسبق أيضاً معرفتها وتوضح بها ، مثل الإنسان كمثل غطاس ، يغوص في غور البحر لينشئ على سطحه ركيزة (tremplin) من اللواؤ الذي يستخرجه منه ، فهو يرتفع أعلى فأعلى كما يغوص أعمق فأعمق ، وان خلاصه يتوقف على انسجام هذا البنيان ومدى ارتفاعه .

النفس تلتزم في تشييد هذا البنيان مبدأين : أحدهما سام منه تنحدر القيم الانسانية والآخر ارضي به تتحدد ، بحسب ضرورة عالم الإمكان ، قاعدة هذا الإنسجام ، القاعده التي تكاد فيها الحاجيات تلتبس بالقيم فتنتهي بحدود التوازن والنمو في البدن . فإذا ما تحررت القيم بتساميها نحو غايتها ، تجلى بها الوجود عندئذ خيراً وجمالاً ، فإن كان

العلم قد استهدف تعيين المناسبات الرياضية التي انطوى عليها هذا التجلي (المحسوس) في الاتجاه الافاقى ؛ فإن الأخلاق تصبو إلى الكشف عن العدل (نظام القيم) الذي تضمنته النفس .

لقد قدرت الحياة الحاجة بفائدتها، وحددت بالذمة معيارها وعينت أيضاً «بالنشوة اتجاه خيراتها، نشوة تمس الذمة كما يمس نظام القيم الإنسانية الحاجات التي يفتقر إليها بنيان البدن ، وعن التباس نظامها تنتج الأمازية والزهد ، آفتابها ، إذ تستسلم النفس بالأولى للمادية فتقبح وترهد بالتأنيب عنها فتضمهر ، وفي كلتا الحالتين يطغى عليها القبح (من قب أي اختل توازنه بالانتماخ ، وضمير ، والضمور : خيال مستوحى من الحياة نفسها) . ويستحوذ عليها القلق من هذا الميل (anomalie) عن فطرتها .

قبح وقلق ، كلاهما يتخطى حدود شخصية المسؤول عنها إذ أنها يجدر بالتجاوب الرحمانى مع الآخرين ، تشوشاً في بزيان المجتمع وفسدانه . فساداً تحتل به الإصالة وتفوص في الأحقاد قاعدة الخصال الكريمة . فينحدرون إلى المسوخية وترىغ المؤسسات العامة أيضاً عن محورها ويطمس على قيمها ثم تتفكك أواصر الرحم وتجف العواطف ويتباين القادة مع الجمهور في الغاية فتضج السماء حينئذ على هذه الخوارق وتلقي المسؤولية على الجميع : مسؤولية مشتركة بين الأجداد والأحفاد (الآباء

يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون) ومسؤولية المعاصرين في ذات
الجيل. فإن يكن من أبناء الأمة حراً باحتيـاره محوراً ينشئ عليه
شخصيته فقد تحددت هذه الحرية بالإصطفاء (كما تشير اليه الكلمة نفسها:
الحر: هو الخالص الصافي) والاختيار (من الخير: أي الأحسن
والأقرب من كمال) لذلك كان كل أبنائها الذين يحملون نزعها متلازمين
ومتتامين. وعم مسؤولون عن بديان مجتمعهم الذي ينشئون هيكله تحقيقاً
لغايتهم من الوجود. الهيكل الذي يملك فيه الأحفاد على ما بنى الأجداد.
فيقومون بشخصيتهم بما انطوى عليه هذا الهيكل من رموز. ويوفرون
بذلك على أنفسهم الجهود المبذولة ليصعدوا متسامين.

فإذا كانت الأصالة قاعدة عليها أحفادنا باختيار هويتها من الذكريات
والعادات المكتسبة. فإنما بالتجاوب بيننا وبين بيئتنا الاجتماعية —
الطبيعية تدهر شخصيتنا وترهو. بيئة، وان اشترك الفن والصناعة في
تنظيمها. فانما يتم بالبصيرة الإهتمام اليها.

تبدو الحياة تارة في تطور (en évolution) وتارة في انقلاب
(on révolution) إذ، أن تجلياتها البديئة (original) اما أن تندرج
في سجلها بالذاكرة، وترسخ في بدننا بالعادة، واما أن تبدر كنقطة
انبثاق ذات مظاهر منسجمة، فإن رمز البدن بالنمو إلى الحالة الأولى،

وبالاستحالة (métomorphose) إلى الحالة الثانية ، فإنه يعبر في الشؤون
التمسائية عن كلتا الحالتين بالنبوغ (من نب : طلع ؛ باضافة « غ »
بيان الغيب ،) والعبقرية (من عبق وقر ؛)

وان كلتي « حدس » و « حزر » يهديننا بنشأتها الى اتجاه الذهن
العربي بحدسه في حقيقة النمو بمظهره : النبوغ والعبقرية . وهكذا
ف « حدس » من « حد باضافة « س » بيان الحركة . وكذلك « حزر »
من « حز » باضافة « ر » وهذه تعبر أيضاً عن الحركة . كأنني بالذهن
العربي يشير إلى أن النفس تنشيء عادات (حزوزاً في طبات الدماغ) ،
وأما بتوجيه هذه العادات (التي تنطوي فيها على النزعة الى الانسجام)
توجيهاً متقارباً تتخلق منها منظومة بها تدعو آيتها (الهامها) الى التجلي .
وإذا ما انبثقت هذه الآية عن صميم الوجود استغنت حينئذ
النفس عن ذلك البناء التمهيدي (العادات والتجارب) استغناء المعمار
عن الهيكل الخشبي الذي ركز عليه عمارة . وهي (أي الآية) تأتي
عند التجلي ، بمنظومتها البديئة ذات الانجاهات المعينة في الملاء الأعلى
ألم تشر كلمة (نبغ) الى اتجاه الحدس نفسه بحصولها من كلمة : (نب) :
طلع واعنلى ؟ ثم ان شقيقتها وصورتها الحسية (نبغ) الا تريدها
ايضاحاً ؟ فكما أن المياه المترشحة تحت الأرض تفتح مجاري تدفع قوتها

المتدفقة بسدها فتطلع إلى الشمس ، كذلك تنزع هذه العادات والتجارب المختزنة في الدم - باع (الغيب) إلى منظومتها (وحدتها) مستمدة قوتها من القدرة المختزنة فيه ، تفتقر في تحقّقها إلى توجه النفس إليها افتقار كافة الأحياء إلى طلعة الشمس عليها ، ومن هنا نجمت الصلة بين النبوغ وطلّيعه المرحلة التاريخية التي تنطوي على البيئة الطبيعية الاجتماعية ، وعلى التيارات الثقافية ، وخصوصاً على ما اختص به الفرد باختياره من هذه المرحلة ، حيث يبدو توافق هذا الاختصاص وانسجامه مع ما انعقدت عليه حياته ، وهذا التوافق يحتمل كل الدرجات ، وعليه يتوقف تفتح الفردية وازدهارها .

فإذا ما كانت العادات والتجارب متباينات مع البنية ظل تركيبها مصطنعاً (artificiel) ، وعفياً . وهو ، أي هذا التركيب ، رغم ما كلف صاحبه من جهد يبقى أبداً عرضة للاهتدام ، فثله كمثل ينبوع حصل من ترشح المياه من آبار ذات قعر متواصل فهو يظل قاصراً عن فتح مجراه بقوته .

وليس من العبث أن اقتبس الذهن العربي كلمة (بصيرة) عن (بص) صورة الينبوع عند طلوعه ، فإن بنيان كلمة (بصيرة) يشير إلى الانبثاق (راجع بحث النسبة) ، انبثاقاً تأتي كل من تجلياته

بنورها الخاص ، ولئن تفاوت هذا التور فإن شفقه ، مهها ضؤل يبقي
هدى في ادراك الحقيقة على اختلاف درجاتها بالعمق . فإذا التبس هذا
الشفق بالمداد في الحدس فإنه ليصبح كوكباً ساطعاً في البصيرة المطلقة
حيث تنكشف الحياة كاملة لذاتها .

هكذا يلتبس المعنى بمداده فيبعث هذا الأخير بزغته الى التحقق
بالحركة الكامنة في الأجزاء المتحركة عنه عبثاً يحدث شعوراً مبهماً
بالغاية التي تعكس آيته ، وقلقاً يحض النفس على الدأب في تحقيق هذه
الغاية ، وما الاستطلاع (curiosité) إلا بشائر هذا البعث ، فتبدأ
النفس بتحقيق هذه الغاية خيالاً (en eshème) مستوفياً في الذهن
شروط طبيعته الأساسية كما يبدأ المعمار عمارته بإنشاء مخططها مصغراً
(en miniature) اجتناباً بشطط الخيال ، وتوفيراً للجهد المبزول .

واتن تعاون الحدس مع التأمل (réflexion) تلى انشاء هذا
الخيال في مجابهة العالم الخارجي (الاكتشافات العلمية والاختراعات
الصناعية) فقد بدت فيه البصيرة شفافة ، يعرض فيها التأمل عن العمق
بيدهة (بدا ، بده ، بدأ ، مبدأ اخوات وتطوي على نفس
الحدس) المبادئ التي ينتهي اليها الحدس العالمي في انحداره نحو عالم
الإمكان . إلا أن البصيرة ارتقاء من الإمكان نحو الوجود ، فإذا هي

مست هذا العالم ، بالحس والخيال ، أهمي أنشأت عناصره من هذا الحس ؛
ارتقت بدرجات متزاوية في بنيان الوجود الانساني الاجتماعي (الفن
والفقه) فهي وان ظلت مقيدة بمبادئ الإمكان ، وانما تريد كل درجة
تعليها من دائرة أنارتها فيشرف المعنى على ادارة تجلياتها أوضح فأوضح .
وهي ان تتحرر بصورة مطلقة من تلك المبادئ إلا في البصيرة الكاملة
حيث تتجلى لذاتها بفيض نورها المنبثق عنها .

ألم تبدو الحياة معنى بديئاً (origina) في كافة تجلياته الأصلية ؟

معنى يحاول أن يوجه القارئ حسب مشيئته ؟

ألم يشر البدن بالمخطط الذي انطوى عليه الى مصمم هذا المعنى في الوجود
فلئن كان هذا المخطط يتحقق بالدماع وبالجسم الذي يستكمل
الذماغ وظيفته ، فإنه اهو بمثابة نابض (ressort) على تفتح سطوحه
المنحدرة . تجيب النفس بتمرع ميولها . كتفتح الهيجان (émotion)
بتجاوبه مع بوادره (exp essions) واذا ظل هذا المصمم في تجليه
لذاته (في المعرفة) مفتقراً إلى صور بها يتحقق فقد يكتفي ببعض من
تجلياته . وهو بنسبة ما يحملها في تساميه يتعداها بغناه تعدياً ترتقي فيه
المعرفة من أدراكها إياه كبداً موجه ومصطفى الى حقيقة حيث يتجلى
للنفس المطلقة على الألى بهويته .

يظهر هذا الافتقار بدهاءة في نشأة البدن ونموه . إذ أن هذا الأخير يتلقى مبدأ فعاليته من منبه خارج عن ذاته (الابوين) . فتركز فعاليته المستيقظة أيضاً في تفتحها على القدره المقتبسة عن العالم الخارجي ومهما ضوّت في المعرفة . الحاجة إلى هذه القدرة فإن هذه تظل مع ذلك أساساً في كافة درجات التجلي . إن الحس يتركز مباشرة على الكون والذكرى يتحقق أيضاً بالقدرة الاستفادة منه وما الأشياء إلا لوحات فنية بها يستيقظ المعنى وباستناده عليها يحقق مصممه . فإذا كان الرسم وسيلة تحتفظ فيه الأشياء بطبيعتها الخاصة ، فإن هذه الوسيلة تستدق في الموسيقى حتى تكاد أن تكون ابداعاً بأجزائها وبمنظوماتها في المعرفة العليا يتجلى الإلهام ذاته بهائه .

وإن كانت النفس : من حيث المعرفة ، عالماً بذاتها مقتصرة على الانكشاف عمقاً وشمولاً داخل حدود عالمها ، مرجعة الأشياء الى وجهة نظرها بحيث تشترك في تعيين طبيعتها ، فتبقى أبداً من حيث الوجود ، متفرقة الى ما يتعداهل . وهي تظل بنزعتها تراوح بين الثنائية (Dualisme) . والوحدانية المثالية (monisme) تراوحاً يتمين به مركزها من غايتها كأنني بها بنيان ذو محورين متباينين وبتباينها متممين : المعنى والعالم .

تقرب المعرفة من بنيان البدن خصوصاً لمبدأ التلازم بإعتراها من العالم . وهي بهذا الخضوع نسبية (relative) بينما ترتقي هذه المعرفة بتساميها نحو المعنى حتى تصبح في البصيرة مطلقة (absolue) .
فالحياة إذن تنسبر معنوى أي مبدع ذاته في اتجاه معين .
فتناسب ابداعه مع انسجامه مع محور الحياة الأصيل . كأنني بها نعمة في الوجود . فيها تتجاوب كافة نغماته (تجلياته) وهي ذاتها معني بالنسبة اليها يتحدد اتجاه هذه النغمات . وعلى مدى الانسجام بين نقطة نظرها وبين وجهة هذا التجاوب يتوقف وضوحها ونفوذها في الكائنات .

يشهد هذا الوضوح أكثر فأكثر ، ويتسع مدى ذلك النفوذ أعمق فأعمق حتى تبدو الحياة مستكملة شروط انبعاثها من ذاتها فتنشئ ذاتها من تجلياتها مستغنية عن العالم ، ولو أنها مسته واستندت عليه في صعودها ، فهي تبدر حينئذ عبقرية ، ومثلها كمثل الخلية الأولى المستجمعة في وحدتها قطبي الحياة : الامومة والابوة .

أما تستهدف هذه العبقرية في ابداعها بعث الموجدات بعنا رحمانياً فتعوض بذلك عما ضاق الكون عنه ، وما حدده مبدأ التلازم في الحياة ؟ فهي تغوي مبدعاتها بسلوها الفني ، ثم الا تخلق هي من شخصها ذاتاً

لحيث يبدو هذا التباين متلاشياً في درجات الوجود وأنواع الموجودات التي تحدت رتبها بهذه الدرجات ؟ ..

تعين المياه قيم الحوادث قبل تحققها حتى انها تحدد هذه القيم بالهيجان مستقلاً عن تميل نتائجها في الذهن . فتثبت وحدتها بمعناها وشمولها . ألم تحتزن حياة الفنان من التجارب البديئة . والذكريات النبوية . اينشيء من صورها المصطفاة الخيال المحقق للإلهامه ؟ ...

لقد عبر الذهن العربي بالكلمات السلبية أيضاً على نظراته الفنية في الحياه . اذ أن كلمة « خطأ » (من « خط ») تفيد الخروج عن الحدود المرسومة للاشياء من قبل طبيعتها . وخص شقيقتها « خطيئة » بالخروج عن الاخلاق . وقد ميز درجات هذا الخروج بكلمات تشير الى نفس النظرة : « ذنب » صورتها الحسية « ذنب » . « ثواب » ، صورتها الحسية « ثوب » . « قصاص » ، من « قص » . « جزاء » من « جز » . « جريمة » ، من « جر » . وهو قد كان أليانا بتخصيص كلمة « قبض » بالخلل في اتران الصورة الفنية (البروز والضمور معاً . ألم يحمل هذا الذهن حدسه هذا بكلمة « خلقة » المرسمة حدودها بالاخلاق ؟ أي اخلاقنا التي تبين حدود سياننا ، فإن وجهتي الخلقة البدن والنفس وان التبشا في بدء ظهورهما التباس الصورة بالمعنى في الحس ، فهما ينموان

متباينين (بان، تباين، اظهر بعضها بعضاً) : والصورة المشتركة بينهما تنطوي على الميل (الميل الى العودة) والميول متفاوتة بالقابلية للتفتح، وهي تبعد عن التكرار بمدى تفتحها، هذا التكرار الذي تنفر منه النفس بعد ان انشأت عاداته فان هذا التباين في بنیان العادة ليلقي ضوءاً على اتجاه الحياة نفسها. إذا كان في العادة توفير للجهد ففيها تحديد للابداع ايضاً، بها تجمل النفس نزعاتها الضئيلة، وبتداعي أجزائها تثبت منظومتها، وبها ايضاً ترسم خطوط سبائها، وعليها تستند في تساميتها فبينما تبدو في اول وهلة نشأتها غنية منعشة فإن دعوة الوجدان اليها تصبح تكراراً مملأً، وهذه العودة جوفاء طويلة. إذ أن الحياة فقدت بذلك حكمة بنائها. وليس عبثاً ان بدت الشيخوخة والمرحلة التاريخية المتحكمة فيها الرجعية جوفاء ومملة ايضاً فلو كانت النفس تبعد مطلقاً لأهملت الابداع مطلقاً، ولكنها تخلق ذاتها بتحديد صورتها بمحدود تكشف عن وجهة نظرها في الوجود.

فلئن تضمنت العادة ميلاً هو مبدأ انبعاث حالاتها، أو فكرتها هي غاية انسجامها فإن بنائها هذا يشير الى اتجاهٍ تنتج الحياة، المعنى والتداعي. فتتجه بالتداعي نحو الحوادث فتنتهي بادراك سلسلتها لذاتها كإطار مجوف، وتعني بالمعنى عن هذا الإطار متسامية بصورتها نحو

الالوهية غايتها . فإذا كان وضوح النكرة بمطابقتها ذهنياً على الواقع أي استكمال تداعي بذاتها فإن خاصة الآية إنما هي بتحققها في النفس أو بارتقاء النفس إليها . وإذا ابتدئ الفكره بأدراك التجربة (الحس والذكرى) فإن الآية تتحقق بتفقه النفس ببنائها المتجلي بها علماً وعملاً ولئن كانت التجربة بدء صلتنا الرحمانية بالوجود فمد بدا الحس آفاقياً (objectif) . وان بنياننا الانساني يسدو ايضاً في النفس أنامياً (impersonnel) بتجاوبه تجاوباً رحمانياً مع البيئة الاجتماعية ، وليس فقدان هذا الاتصال الرحاني عمها للنفس فحسب (عمه مقابل للعمى الحسى) ، بل نمو مفتقر الى ما توجب بصيرتها من عمل ايضاً والالابات حياتها كأنها في منام .

فالانسان من يئثته الاجتماعية كما هو من يئثته الطبيعية ، أي أن نفسه تفتح باتصاله بها وتنمو بواجباتها نحوها ، والنبي يخلق ذاته بخلق مجتمعه .

تصبو كافة النفوس الى النبوة صبوة متفاوتة ، وهي على العموم تترجس هذه الولادة وإذا رجت قدوم المخلص من الخارج فإذا لا عيادة المعنى المستفاضة (projétées) لها . وما القلق المستحوذ عليها (كما هي الحال في كل ولادة) الا كالتوء الذي يشر بقرب الموسم ، فمحاولات

النبرة لم تفتأ تظهر واما تختار العناية المصطفى (sélectionné) لرسالتها.
مثل النبي كمثل السيارة « الارض » التي تحمله ، اذ انه يبدأ سديماً
مشتاداً حميمه بمقاومة القيم البالية توعية منها . حتى تتبلور نفسه عن قيم
تبعته (المرحلة التاريخية) كما تفتح الارض عن كوامن الحياة التي بها
ترهو . فان تفتحت الحياة وازدهرت على طلعة الشمس مصدر انبثاقها
فكذلك النفس : بنيتها على الخير مصدر انبثاقها تتجلى عن المعنى
فتزهو بهذا التجلي .

إذا ازدهرت حياة صاحب الرسالة عن بنيتها الانساني . نامية
بالانسجام مع بيئها الاجتماعية . فالبطل . عند الاستشهاد يوقف باراديه
تيار القدر وقفة تفتح بها الحياة عن كامل تجلياتها . انشودة (symphonis)
قد انتشرت كافة انغامها منذ البداية حتى النهاية في حالة وجدانية موحدة
(état existentiel unique) فانطلق فيها المعنى حينئذ كاملاً .

الفصل السابع

المنظومة الصوتية

لقد أوجزت العبقرية العربية رأيها في بناء صورتها التي تجلت بها في الوجود بكلمات تشير الى وجهة نظرها في فن هذا البناء فكلمة «بديع» مثلا وهي من «بد» المتحولة عن «بت» أي فرق وقطع واخواتها: بدأ بديء (original) ، مبدأ (principe) بديهي (évident) ، ابدأع (création) ، بذي ٠٠٠ الخ تفيد كافة التجلي أي تجلي المعنى خلال حجاب القدر . فلعل جلوة اذن عند بدورها من الملا' الأعلى روتها متناسبا مع عمق بدعتها .

وكلمة «حسن» وهي من (حسن) ، تشير الى أن المعنى متلازم تحققه مع الصورة ، ووضوحه متناسب مع قابلية هذه الصورة البيانية التي انشئت من تجلياته خلال هذا الحجاب . ثم كلمة «جمال» ، وهي من «جم» ، «جمل» ، تعين حدود هذا التلازم بين المعنى وصورته

شخصياً ، أم آفاقياً . وان سياتها المرئسة رموزاً في لسانها لتدعوا
الأحفاد الى أن يسلكوا طريق الأجداد، تدعوهم كميل قد انطوت عليه
نفوسهم ، وكمثل اعلى اليه يصبون ، ويتسامون .

وان هذه الوحدة المتجلية في انسجام الحروف والحركات والكلمات
والتواعد حتى والاسلوب ، لم تكن فكرة مجردة قد بناها الذهن
عرضاً ، ولا غاية ما تنتهي اليه المادة في انحدارها نحو التجانس بل
هي وحدة معني نزاع الى التحقق بالصورة التي انشأها من تجلياته الصوتية ،
وإذا جاز التعبير عن هذا الانسجام بكلمة (قانون) فينبغي تميزه عندئذ
عن بقية القوانين الخاصة بطبيعة الاشياء ، والمستقلة عن وجهة نظرنا ،
وحتى عن قوانين البدن ، إذ أن هذه تعينت حدود تلازمها في الملا
الأعلى ، بينما تراخي هذا التلازم في اللسان أكثر فأكثر تعبيراً عن المعنى
مبدعه . مثل المعنى كمثل فنان فيثاره الفم ، فهو وان استعان بالصور
المتبسة عن الطبيعة الخارجية أو الطبيعة الانسانية فاقببس من الاول
تقليد أدواتها ، ومن الثانية بيان مشاعرهما الصوتي فإنه لم يقف عند
الاكتفاء بما تعرضه الطبيعة عليه ، بل أخذ يختبر قابلياته ، ويتفنن بالكشف
عن دقائق (nuonce) تلونها ، ثم يصطفى من هذه التجارب البدينة ،
المنظومات الصوتية التي هي أقل بياناً عن تجلياته ، الآخذة بالتسامي ،

استكمال هذه الاخيرة شروط بنيان المعنى الاساسية، فتحرر النفس
بهذا التحق من قيدي المكان والزمان .

ان هذه النظرة الفنية في الحياة لتبدو في كافة مظاهر العبقرية
العربية وخصوصاً في لسانها، حيث تتماخص هذه المظاهر .

وبينا يختلف في اللغات المشتقة كل من النحو والمفردات والمنظومة
الصوتية (système phonétique) بنشأته ويستقل في تطوره فإن هذه
تخضع كافة في اللسان العربي لذات المبدأ بحيث تنسجم بجملة وأجزائها،
وبهذا الانسجام يكشف ايضاً عن وحدة انبثاقها .

يتميز اللسان العربي عن سواه ، فضلاً عن وحدة انبثاق مظاهره
وانسجامها ، بمنظومة معاني كلماته التي تفصح عن نفس النظرة في الوجود
وعلى الخصوص بموافقة هذه المعاني بياناً مع ذلك البنيان الصوتي .
فهو سبب الامة التي انشأته تكميلاً لصورة أبنائها الذين أتموا هذا
الانشاء السبب التي تعكس حقيقتها في الكون ، وتكشف بذلك
عن هويتها كشفاً متناسباً مع وضاحتها في نفوس هؤلاء الابناء
مخضعين القدر اشياءهم .

فلئن مست هذه العبقرية القدر فقد انطوت بتناسها هذا على ضروراته
تأساً تتحرر منه حتى تبدر مستقلة عما عرض بالنسبة اليها ، سواء أكان

وهو يستعين بالآخرين ذوي البندان المشترك لرحماني اعلى تقدير صدق
ابداعه ، استعانة الفنان بوقع ألحانه في نفسه .

إذا كانت الخلايا تنشيء الاعضاء من تفرعاتها المختصة ، بدافع
الحياة وتفتحها في الكائن ، فإن الصور الصوتية تتفتح كذلك
بالاشتقاق وتعين حدود نموها بالقواعد تحقيقاً للمعنى . والاسلوب
الأقرب من كماله هو الذي يجاري الحياة نفسها خضوعاً لبدء انسجام
الصور في تعبيرها عن الفكرة الاصيلة . وهو بنسبة بيانها في جملته
وفي أجزاءه يكون تأثيره السحري في دعوة المعنى كتأثير البرادر في
دعوة مشاعرها .

لقد أوضحنا في فصلي البيان الصوتي والمرئي علاقة الصورة بالمعنى
ها نحن اولاً نعرض لقوام هذا اللسان من حيث هو لسان ، أي من
جهة تفنن اصواته ودقتها اولاً ، و انسجام منظومة تركيبها ثانياً .

لما كان الهواء يخرج من الحنجرة متموجاً فان كل موجة تحدث
بوقتها حرفاً بنائياً (consonne) وبانتقالها بين وقفتين ، حرفاً صوتياً
(Voyelle) ، ومن تركيبها لحناً (مقطعاً) . وما الكلمة الا منظومة
الحنان يجيب بها الذهن في وحدة من الزمان على الهام نكرتها . ويختلف
مداد الكلمة عن الحركة بتفرعه مترزنا كتموج الحياة في نمو الكائن .

ان توزيع الحروف العربية على انغام (gamme) شفوية : و ، م ،
ف ، ب و لتوبة : ظ ، ذ ، ت ، واسيلة : ص ، س ، ز ، وذوقية : ن ،
ل ، ر ، وشجرية : ض ، ش ، ج ، ونطعية : ط ، د ، ت ، ولهوية : ك ،
ق ، وحلقية : ه ، غ ، ع ، ح ، خ ، أ ، وحروف اللين : ي ، و ، أ ، كل هذا
يكشف عن الدقة في تكوينها وتطورها بالتدريج بالاضافة على غنى نشأتها .

وتبدو الدقة والتلون على الخصوص في حروف اللين ، اذ أنها
تتموج بين كافة الانغام من انشائية الى صوتية مفخمة ، فإلى حركتها
المخففة ، حتى انها تكاد تنتهي في الشدة والجزم بالسكون ، وذلك
بيانا لتجليات المعنى المختلفة .

كنا قد ميزنا بين النسبة التي تحصل من تلازم حالاتها بالحدس عن
النسبة التي بينها الذهن بالشعور ، وهذا البديان الحدسي يبدو أساساً
في اللسان العربي . ففي الجملة العملية ، يحمل الفعل في المؤنث الحقيقي ،
رغم تقدمه على الفاعل ، طابع جنسه ، مع أنه يتحرر في كافة الاحوال
من شروط عدد الفاعل ، إذ أن العدد يحصل من جمع الاشياء خلال
المكان بينما الجنس يبدأ مع طبيعة حدسه فطرة : فيقال جلست المرأة
جاهد المؤمنون . وحينما ينفصل الناعل عن فعله بكلمة او حرف ، يرتخي

هذا التلازم : سافر اليوم هند ما قام الا هند ، كما أنه في المؤنث المجازي
(الحاصل بالاصطلاح) يبقى التوافق بالجنس بين الفاعل والفعل اختياريا:
تنوح الحمامة .

في حالة تقدم الفاعل على مفعله ، حيث يبني الذهن الجملة بالشعور يكون
التوافق بالجنس والعمل معاً : العساكر حضرت ، هند ليست في الدار .
ويبدو هذا البنيان الحدسي بوضوح أشد في الأوزان : نجب ، ونجب
نبيل ، ونبيل : حيث تعبر حركة الحرف الثاني عن تجاوز الفعل مع الفاعل
والمفعول في وحدة الادراك ، فتتكشف الفعالية من هذا التجاوب .

وكذلك يبدر الطابع الحدسي أساساً في صيغ الافعال : استقبال ،
اندفع ، فكأن التفكير بالجملة هو الأصل وما الكلمات إلا ركائز بيانية
(كما هي الحالة في اعضاء البدن) يستند عليها حدسها في تفتحها ، فما يشترك
الشعور بينائه ينسجم مع طبيعة الحدس اذ أن حروف النصب والجزم
تدخل على اعراب الفعل تعديلاً فتجوله ، الاولى الى فتح (ابهام المستقبل)
والثانية الى سكون (توقيف الفعالية في ماضى مزرعوم) وهذا الانسجام
(اي انسجام اجزاء الجملة بالاعراب) عام في اللسان العربي ، وكما اقترب
من بنيان الكلمة لذاتها ظهرت طبيعته الحيوية الى أن يصبح الوصل

والإدغام والإعلال من مقومات اللسان العربي الأساسية .
ولا غرابة ، فلما كان هذا اللسان بديئاً ، لسان آدم (المعنى متجلياً)
في الوجود) فقد استكمل كافة شروط لاصالة .



الفصل الثامن

الامة العربية

تنبثق عن ذات الامة نظرتها في الوجود وهي تحمل طابعها وانه ليس عبثاً ان افترض الهنود الاثير واليونان الجزء الفرد (atome) والشعوب السامية النمو بالتطور والاقبال (evolution et révolution) والانكاز التطور بالاصطفاء (par sélection). فكل من هذه الامم قد أدرك الوجود خلال بنيته . وهكذا فإن العرب قد أوحوا إلى العالم فكرة الخلود ، الفكرة المستوحاة من طبيعتهم المتصفة ذاتها بالخلود .

ان الامة العربية وهي يذوع الشعوب السامية كافة ، عالم بذاتها لم تأفل منذ ظهور الانسان على مسرح التاريخ وهي تظهر بفيضها في كل مرحلة ما تراكم من آثام على الشعوب فنهديها إلى تحقيق أهدافها .

مثل الامة العربية كمثل السديم (nébulosjté) ذاته (أصل الوجود) بتكاثف حيناً ثم يتناثر بعد حين فتتبعم الشمس عن تكاثفه ثم تذهب بتناثرها في الاثير .

كذلك الأمة العربية (وهي عبارته) فإنها أبدأ مشرقة بورها على
الانسانية . وقد تبدو حيناً مفككة متناثرة ، أبنائها منزوون في قوقعة
من الأنانية ، إلا أنها لا نلت حتى يسطع منها نبي أو زعيم فيبعث بها من
جديد ويلقي النور الحاصل من تأججها شفقاً على العالم أجمع فيهدي الأمم
حينئذ بنارته الى تحقيق رسالتها . وعند ذلك تتحدى هذه الأمة
تقديرات المؤرخين .

* * *

ما هي الامة ؟

أهي مفهوم يبنيه الذهن تعبيراً عن وضع مشترك وعام . (وضع
ثقافي مدني) قد أنشأه الاجداد فأورثوه الاحفاد ؟
أم هي آية اصولها في الملاء الأعلى . تتحقق باندراج تجلياتها في
المكان . وباستجمام هذه التجليات في الزمان ؟
أهي عبقرية مبدعة أم بنيان متلازم المظاهر بالتداعي ؟ ان فلسفة
الانسان هي صورته التي يكسوها الكون .

ولئن اختارت الأمة العربية حقيقتها في الملاء الأعلى (الله علم آدم
الاسماء . ثم : الاسماء تنزل من السماء) أي أنها قد جهزت صورتها

بمقوماتها (غرائز في "بدن وواجبات في الوجدان) هذه المقومات التي تبدو مصمماً تنطوي عليه كافة مظاهرها العامة، الخاصة في نسجه الاجداد محقق لما كان في قرارة نفوس الاحفاد. فإنها (أي الامة العربية) ليست كسواها شركة مساهمة (ككنصو) او جملة ذكريات وأماني (رينان) بل إنها بديان قد اشتركت في تشييده السماء مع الارادة الانسانية منسجمتين. بديان يتمتع بنشأته هذه، بهالة من القدسية .

* * *

إن الفرد، ككل ظاهرة كونية، هو بالطبيعة جسر الا أنه من حيث الانبثاق كبداً ينزع الى استكمال شروط ماهية بالعبقريّة. فبالحرية ينشئ بيته مستقلة، بحيث يصبح هو بذاته عالماً. إذ أن التجربة التي يكشف بها عن هويته تنطوي على حدس وواقع فتستثير النفس بلحمة ذلك الحدس لا اختبار تجلياتها خلال الواقع. وتدل وضاحتها على اصابتها في هذا الاختيار. الوضاحة التي تقف بها هذه النفس. فيبدو نموها استطالاعاً فسيحاً نحو العالم الخارجي. وصبوة في انجاء ينبوعها. وتحررها من القدر بنسبة رقيها في استجمام قطبها. فإذا كانت فسحة العالم الخارجي قاعدة هذه الارتفاع فإن المجتمع يسمو بها بانمائه مشاعر الرحمة. وبمئته القيم الانسانية عدلاً متساوياً.

فحكمة وجود الانسان اذن هي أن يتحول من ظاهرة طبيعية
هي سبيل للقوى الكونية . الى ذات ' باستجمام تجلياته في وحدانية
واحدة تبدو هذه الحكمة التي في بنيان البدن الذي انشأت منه الحياة
قدرا طرعا ارادتها .

على ان هذه الحياة قدزات في كافة الانواع وخضعت لقدرها
باستغلاق الميول في بدنها مع الاشياء غايتها . الا في الانسان حيث تحرر
المعنى بمسيرته الحياة على غرار بناء عدانها : أي التجلي والاستجمام . إذ
أدرك أن التداعي ينتهي بالانهاية (L'infini) بينما يرتقي الانسان
بالاستجمام إلى العظمة (l'immense) . المتحررة من مبدأ التلازم ،
فيتمتع بارتقائه من الخيرات (الفقه والفن) التي حرمت منها الحياة في
الأنواع الاخرى .

وان صواب الحدس هو مشيئة الحق (vouloir être c'est être)
هذه المشيئة التي تجلب معها النمو والسعادة . واثن كشف الانسان عن
هويته بالتجربة فقد أدركها منطوية في وجهتها الحسية على مبادئ
العقل العامة . وفي صميمها على مبادئ الأخلاق وما توافق الحدس
مع الخيال المتحقق سواء في العلم أو في الفقه الا بيان لتلازم الطبيعة
مع الملا الأعلى .

فإذا كانت التجربة مبعث كل معرفة ، فإن المجتمع ، بحفظه لتجارب
الموهوبين من أعضائه ، يشيد صرح المدنية الثقافة . ومن هذا التراث
تفتذي نفوس الاجيال غذاء صلاحه في تحرر الحياة فيه من أشكالها
البالية : في بنية الافراد بمدى تجاوبهم الرحماني (pexpressivité) وفي
بنيان المجتمع باستقلال القيم الانسانية عن التقاليد المجرّفة : فكأن المجتمع
انشودة ألحانها أعضاؤه. وجماله هو في تحقّقه كاملاً بحيث يتجاوب هذا
التحقّق في نفوس اولئك الاعضاء .

ان التواصل والانسجام في نمو هذا الصرح الانساني ليعبران عن
صدق اختيار الذين شيّدوه تحقيقاً لمصمم الذي انطوت عليه نفوسهم ،
ولست الوحدة المتجلية في هذه المظاهر بناء مصطلحاً عليه ولا وهي
مصطنعة وانما هي آية اصولها في الملاء الأعلى ، تتحقّق بالصادر ين عنها والحاملين
ميولها وأمانها. وان مدى صدق الاختيار متوقف على اصطفاء الصفات
النبيلة في الأبداع الجنسي .

ان العلم والحلم اذ ينجحان عن فسحة الخيال الحاصل من استجمام
الصورة في وحدة ادراك ، فيلقيان ضوءاً أعلى بنين ان الكون وبنيان
الانسانية على السواء ، فإن تعينت حدود هذه الفسحة بالاصطفاء الجنسي ،
فهي معمّدة (sanctifié) بوحدة مبدعة في الملاء الأعلى . وما قدسية

الزواج الا ظل (refiet) هذا الابداع . فإن ضاقت هذه الفسحة ، طمس
على الحقيقة والتبس الرمز بالصور الصادقة وتقلصت الارادة عن
ادارة تجلياتها .

ففي الأمة العربية ، تنطوي اذن ، نفوس ابنائها على مصممها ، منه
يستلمون شكل بنیان جمعيتهم فيرتقون الى مثلهم الأعلى ، وبالاستناد
على تجلياته في المكان واستجمام هذه التجليات ، يتم ارتقاوم بالتجاوب
بين ينبوع الحياة وتجلياتها الزاهية ، فبالديانة ترتشف هذه النفوس من
ذاك الينبوع ، وبالفن تستغرق في تلك التجليات .

بينما في الامة المشتقة ، تحجب نفوس ربائها عن مصممهم بحجاب
من الرموز المصطلح عليها ، وهم يحاولون عبثاً خلال هذه المظاهر النفوذ
الى حقيقةتهم ، فهم ينصرفون إلى منطق تحليلي ، وبمدى نسبة اصالتهم ،
أي اتصالهم المباشر بالطبيعة (الكوز والانسانية) يساهمون مع ابناء الامة
العربية العريفة بالاصالة في انشاء المدنية وتثبيت قواعد الثقافة الانسانية .

* * *

لم تختلف الأمة العربية عن سواها بنشأتها السماوية وبنيانها الخالد
فحسب وانما امتازت على الخصوص بذهنيتها المنبعثة عن تلك النشأة ،
وبفاهيمها الانسانية ذات الصلة بهذه الذهنية .

لما كان العرب يصبون بنفطرتهم المدعومة باتجاهات مؤسساتهم الى
 الملاء (le plein) الأعلى ، وتعتلي نفوسهم في صبوتها نحو ينبوع انبثاقها ،
 بتجاوب هذه المؤسسات مع تلك الفطرة تجاوباً رحمانياً ، فقد بدا لهم
 الزمن في هذا الصعود مليئاً ونامياً (duratif et progressif) وبدأت لهم
 الديانة أيضاً (الصلاة ٠٠٠ من صلة الفرد ينبوعه) والحياة والاشياء
 (وجهة - الوجود) متباينتين ، في تباينها متلازمتين ، فانهى ذهنهم
 بالتمييز بين الآية (idéal) قوام شخصيتهم وغايتها ، وبين المفهوم الذي
 يبنيه خلال المكان ، تمييزاً جلياً ، ينما التبتت الآية في الامة المشتقة ،
 بمفهومها ، على ربائها ، وهم يحاولون عبثاً ادراك قرارة نفوسهم خلال
 الفضاء (le vide) كما لو حاولوا ادراك الخيال . وقد ابلغ انلاطون
 بياناً عنهم ، بأسطورة الغارة إذ أن هذه النفوس الحائرة تتردد في
 الديانة بين الايمان والريبة وفي المجتمع بين التقليد والثورة وفي الاخلاق
 بين المصلحة العامة والانانية . وهي تنتهي بالتعميم (universalisme) في
 كافة مناحي تفكيرها : اي التجانس في الوجود (Homogénéité) وبالعينية
 (identité) في المعرفة ، حتى يصل شططها الى الامة (cosmopolite)
 هذه النظرة خلال المكان في الشؤون الانسانية .

* * *

فالاختلاف بين الأمة العربية وسواها ، يبدو خصوصاً ، على المفاهيم الانسانية الاصلية ، فاللسان العربي ، هو بديء وذو بنيان اشتقائي يشير بكلماته الى اتجاهات حدسها ، ويكشف بهذه الإشارة عن وجهة الأمة العربية فيها :

فكلمة حرية ، مثلاً ، تعني الاصطفاء ، وهي تتضمن حدود هذا الاصطفاء بالتقرب من الإصالة أكثر فأكثر ، ذلك بالاستقالات عن كل زغل أو شائبة. مع أن الاغيار يفهمون هذه الكلمة على الاغلب بمعنى الانطلاق انطلاقاً تعينت حدوده من الخارج بمصلحة الآخرين .

كذلك كلمة قانون أي (امر) المشتقة في العربية من (امر) الحاصلة من (أم) باضافة (ر) بياناً للحركة أو الانبثاق . فهي تفيده صدور الأمر عن الأمة أو بالأحرى عن ارادتها التي وإن تناوت صورتها بياناً أو تخلفت عن حقيقةها زماناً ، فإنها تستمد قدسيتها ابداً من مصدرها (الأمة) الذاتي (L'impersonnel) ، ومن هنا اقتران الامر في العرف العربي بالعقيدة الشخصية . وليس عبثاً إذا نسبت الكتب المقدسة الى نشأة سماوية عند نشرها ، ليكون بذلك نظام المجتمع قواماً لمن افتقر الى الدعامة ، يعوض بها عن إصالته في تحقيق غايته . بينما فهمت هذه الكلمة عند الأغيار بمعنى القيد أو تحديد الحرية الشخصية

بالمصاححة العامة أيضاً . ثم إن كلمة مساواة تكشف على الخصوص عن اتجاه تطور المجتمع ، فإذا كانت روما تجازي (من جز) كل من تمايز ، وسطت هذه النزعة أيضاً ، على أمة في إبان زورتها فحملت ممثلها على قصف الكنائس بغية الحصول هذه المساواة ، فإن الذهن العربي قد فرق بين التمايز والاعتداء وأدرك تلازم المعرفة مع العمل ، فكل درجة يرتقيها الفرد تزيد فضلاً وتمنحه حقاً مناسباً في إدارة المجتمع . فلئن انطوى الانسان على المعنى فقد تمتع بقيمة مطلقة . وتساوى الناس انما هو بهذه القيمة وباختيار السبيل المؤدي الى تحقيق هذا المعنى بالارتقاء من شخص الى ذات .

* * *

لئن نجم التفاوت في مراتب الأنواع الحيوانية ، عن مدى اتصالها رحمانياً بصميم الوجود ، والاختلاف في بنيتها عن وجهة نظرها في بنيان هذا الوجود ، وعبرت الحياة عن هذا الاتصال بعدانها حيث تلازم المكان مع الزمان في وحدانية تجلياتها ، فقد تمايزت الأمم بشمول عبقريتها وعمقها . يبدو شموها بنفوذها في نسيج القدر ، ومدى سيطرتها على توجيه مجراه ، تحقيقاً لذاتها . وان الإنسجام بين صناعتها وفنها ليكشف عن اتران صورتها الملقاة على موطن ابنائها ، ويبدو عمقها في بصائر ابنائها ،

البصائر التي ارتقت اليها نفوسهم مستندة على اتجاهات مؤسساتها وفتحت
على بنيانها الاجتماعي، معتلية بتجاوبها .

على أن الأمة، وها قد اختارت طريق الخلود، طريق صبوة
الحياة ذاتها. قد فصلت المكان عن الزمان في تحقيقها وتحررت بهذا
الفصل من قدرها المغلق بمنظومة عدائها، وبذلك استقل، إلى امد،
شموها عن عمقها .

واذ استقل الشمول عن العمق، أي المدنية عن الثقافة، في الشؤون
الانسانية، فقد أخذت الأمم الحديثة، على الأغلب تذلل مدنيته، فيصبح
أعضاؤها ملحقين بهذه المدنية، خاضعين لتياراتها متجهين نحو الرجل
الآلي (homme machine) .

وائن كان الفرد قد استقل إلى حد معين عن تأثير الطبيعة المباشرة
بفضل هذه المدنية ولكنه خضع إلى ذات الحد، لهيول النفسانية —
الاجتماعية، واستسلم لتحولاتها، كما سبق أن خضعت الأنواع الحيوانية
لقدرها (بدنها) . فإذا يربح الانسان فيما لو ملك العالم وخسر نفسه ؟
ليس دخول الغني إلى الجنة أصعب من دخول الجمل في سم الخياط ؟

لقد تشابه مظاهر الحضارات بنسبة اقترابها من الطبيعة، كتشابه

الأنواع الحيوانية باقترابها منها ، ولكنها سرعان ما تتفاوت بتساميها
فيظهر بهذا التسامي خصائص عبقرية كل منها .

فقد نجب الأمم شعراء كامريء القيس وعنترة ؛ ولكن انى لأمة
أن يصبوا كافة أبنائها الى الشعر كمثل أعلى ؛ فيزينون كعبتهم بقصائده
الرائعات ويهللون لظهور النابغة منهم ؟ !

لقد زينوا قبلتهم بالشعر ، بحق ، اذ انهم قد عبروا به عن البطولة
التي يستمد منها القبلة والشعر تدمسيتها ، ويرمز ان إلى نفس الحقيقة .

ان ابناء هذه الامة قد تفردوا في العالم باستكمال شروط البطولة
والشعر معاً وليس عبثاً أن رأوا في النجوم ارواح ابطالهم ورمز أمانهم .

اقد انتشرت المدنية الحديثة من قطر الى قطر ، حتى انها كادت
تخلق من العالم وحدة الا أن انتشارها كان بغية المتاجرة بمنتوجها ؛ أما
العرب فإنهم قد فتحوا العالم بقصد تهريبه ؛ وتحقيقاً لهذه الأمنية ، ضحوا
بنفوسهم وفتحوا العالم القديم ، وبسطوا سلطانهم من سد الصين إلى
المحيط الاطلسي ، ومن أواسط اوروبا الى أواسط افريقيا وكان ذلك على
ظهر الجمل : خليفة واحد ، قانون واحد ، لسان رسمي واحد ، إن الكلمات
التي تربنت بها الأمم الاسلامية ، تشهد على تفوق هذه الثقافة وفضلها
على الناس جميعاً .

لقد خيم الأمن على هذه المملكة، وشمل سلطانها العدل وازدهرت
فيها التجارة والصناعة. وان كافة الامم القديمة لتحسد العرب على
تشجيعهم للعلم والعلماء. فقد كانت بغداد تغص بالطلبة على نفقة اوقافها
التي كانت تكفل ثلاثماية الف طالب مع كامل نفقاتهم، لقد نهجت الامة
العربية سبيل الحياة ذاتها، فاتخذت المدنية والثروة وسائل تكشف بها
عن كريم خصائلها، واذا كانت منبثقة عن السماء فقد ظل رائدها العودة
بابنائها اليها ذواتا (Homme-Dieu). واذا كانت قد احتفظت بذكرى
اكثر من ستة وثلاثين الف نبي فإن التاريخ ليتر بان كفه ابنائها قد
استشهدوا ابطلا في فجر يقظتها الاخيرة (الاسلام).

ان الامة العربية لم تكن شهاباً خطف البصر بسرعة، ولكنها
منارة يتموج شفقها، تموج الحياة التي عبرت عنها.

«(انتهى)»



6142

PB-37725-SB
5-17T
CC

B